الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب
من خلال حديث ((سيد الاستغفار))

د.غويد بن شباب صالح الغامدي
قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية والتنمية البشرية
جامعة بيشة

الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب من خلال حديث ((سيد الاستغفار))

د.غويد بن شباب صالح الغامدي

قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية والتنمية البشرية
جامعة بيشة

تاريخ تقديم البحث: ١٨/ ٧/ ١٤٤٤هـ تاريخ قبول البحث: ٢٩/ ٢/ ١٤٤٥ هـ

ملخص الدراسة:

هذا بحث في الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب من خلال حديث : (سيد الاستغفار) ، تناولت فيه أسبابًا عقدية لمغفرة الذنوب استنبطتها من الحديث الشريف ، وقد جاء البحث في مقدمة يتلوها تمهيد ومبحثان ثم الخاتمة ، أما المقدمة فقد بيّنتُ فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره و أهدافه ومنهجي في البحث وخطة البحث ، ثم كان التمهيد الذي جاء في بيان معنى السبب والاستغفار والعقيدة والأسباب العقدية وشروط قبول الاستغفار ، ثم جاء المبحث الأول عن حديث سيد الاستغفار وفيه ثلاثة مطالب: متن الحديث ، ومكانته ، ومعناه العام ، أما المبحث الثاني فقد كان في الأسباب العقدية وجاء في ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تحقيق توحيد الربوبية ، والثاني : تحقيق توحيد الألوهية ، والثالث : تحقيق توحيد الأسماء والصفات ، ثم كانت الخاتمة وتضمنت عدة نتائج ، منها :

١- أهمية التمسك في الدعاء بالألفاظ الشرعية لكمالها في ألفاظها ومعانيها وجلال مقاصدها ومدلولاتها .

٢- أنّ في الهَدْي النبوي الشريف نصوصًا كثيرة تدل على سعة رحمة الله تعالى وكمال فضله ومغفرته .

الكلمات المفتاحية: العقيدة – سيد الاستغفار – الأسباب – التوحيد

Doctrinal reasons for forgiveness of sins through the hadith: (Master of Asking Forgiveness).

Dr. Ghowaid Shabab Saleh Alghamdi
Department Islamic Studies - Faculty Education and Human development
Bisha University

Abstract:

This is a research on the doctrinal reasons for the forgiveness of sins that I deduced from the hadith of the master of seeking forgiveness. The research came in an introduction followed by an introduction and tow topics, then the conclusion. As for the introduction, I showed the importance of the topic and the reasons for choosing it and my methodology in the research. The first is about the hadith of the master of seeking forgiveness, and it contains three demands for the text of the hadith, and its general meaning. The second topic was in the doctrinal reasons, and it came in five demands. Sins then was the conclusion .

key words: Keywords: belief - the master of seeking forgiveness - reasons - monotheism

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد: فإن خاتم الأنبياء محمدًا بن عبدالله ﷺ قد أُعطي (جوامع الكلام وفواتحه وخواتمه)، ويتضح ذلك لكل من اقتفى أثره وتأمل سنته، كما كان -ﷺ- حريصًا كل الحرص على نجاة أمته، وسلامتها، واستقامتها، وتربيتها التربية النبوية القويمة، ومن تلك التوجيهات النبوية الشريفة: أحاديث كثيرة فيها الدواء الناجح للأرواح والأبدان، وقد لفت انتباهي أحدُها، وهو (حديث سيد الاستغفار)، الذي سيأتي ذكره برواياته في المبحث الأول، الحديثُ لفت انتباهي لاشتماله على أسباب عقدية عظيمة ومهمة لمغفرة الذنوب، هي من أصول الإيمان وأركان الدين، فهو توجيه نبوي كريم لكل من أراد النجاة في الدنيا والآخرة، ولاشتمال هذا الحديث على هذه الأسباب العقدية العظيمة، وعدم وجود من أفردها بالشرح والبيان لا سيما أنها تتعلق بأشرف العلوم وأجلها قدرًا، وأوجبها مطلبًا، وهو علم التوحيد، فأحببت استنباطها من الحديث وجمعها، لتكون نبراسًا لكل مسلم وحافزًا له للمحافظة على هذا الذكر المبارك صباح مساء؛ لأنه معرض للمعاصي والذنوب كما جاء في الحديث القدسي: " ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم..."[1]، فالمسلم بحاجة ماسَّة للاستغفار، حتى ينجوَ من تلك

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم: (٢٠٧٧)، (٥٥).

الأخطاء التي يقع فيها، و الله -ﷻ- يحب الاستغفار ويحب المستغفرين، وقد سمى نفسه بالعفُو، والغفار، والغفور، لكي ندعوه بها، ونعبده بمقتضاها، فمن مقتضى ذلك أن نلازم الاستغفار، وهذا البحث في نص عظيم من نصوص السنة النبوية في صحيح البخاري سماه رسول الله ﷺ (سيد الاستغفار)، يشتمل على بيان الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب واستنباطها من هذا الحديث العظيم، وبالتالي فهي دراسة استنباطية تحليلة عقدية وسنسير فيها على النحو التالي:

أهمية الموضوع: وتتمثل فيما يلي:

١-أنّ موضوع الاستغفار والتوبة من المواضيع المهمة في حياة المسلم؛ لأنه عرضةٌ للمعاصي والذنوب، وهو بحاجة للاستغفار صباحًا ومساءً، حتى يقضيَ على آثار تلك الذنوب.

٢-أهمية العناية والاهتمام بالعقيدة وتصحيحها ثم تحقيقها في مسائل العبادة فهي أول الأولويات، كما هو منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام.

٣-أنّ موضوع البحث هو دراسة عقدية لأحد الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ.

٤- مكانة هذا الحديث؛ حيث إنه من الأدعية المستجابة.

أسباب اختيار الموضوع:

١-النصيحة للرسول ﷺ ببيان المعاني التي اشتمل عليها هذا الحديث العظيم، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال في الحث على تعلمه والاهتمام به: (من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي -فهو من أهل

الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح -فهو من أهل الجنة).

٢-إبراز الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب من خلال هذا الحديث الجليل.

٣-عدم وجود من أفرد الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب الواردة في هذا الحديث الجليل بالشرح والبيان.

أهداف البحث:

١-استنباط ودراسة الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب من خلال حديث سيد الاستغفار.

٢-الكشف عن العلاقة بين تحقيق التوحيد ومغفرة الذنوب.

٣- بيان التوسل المشروع وأثره في استجابة الدعاء، ومغفرة الذنوب.

أسئلة البحث:

١-ما هي الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب من خلال حديث سيد الاستغفار؟

٢- ما مدى العلاقة بين تحقيق التوحيد ومغفرة الذنوب؟

٣-هل هنالك توسل يؤثر في مغفرة الذنوب؟

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهارس المكتبات، ومحركات البحث الرقمية، وسؤال المختصين، لم أجد من قام بدراسة الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب في حديث سيد الاستغفار، وكل من كتب حول حديث (سيد الاستغفار) تدور كتاباتهم من ناحية عقدية، على ذكر ما اشتمل عليه الحديث من دلالات عقدية

بشكل عام أو بيان أثر تلك الدلالات على طمأنينة الفرد والمجتمع، ومن ذلك: كتاب نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستفغار للسفاريني، وبحث علمي بعنوان: الدلالات العقدية في حديث (سيد الاستغفار) وأثرها على طمأنينة قلب المسلم، للمؤلف: أحمد علي مصلح مزروع، نُشر في مجلة الآداب التابعة لجامعة ذمار باليمن العدد التاسع ٢٠١٨ م، وقضايا العقيدة في حديث سيد الاستغفار وأثرها على الفرد والمجتمع، لأسماء حماد حسن، وهي عبارة عن رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية في غزة، في عام: ١٤٣٦هـ.

منهج البحث:سأتبع في هذا البحث المنهج الوصفي الاستنباطي التحليلي.

خطة البحث:

هذا البحث يقع في مقدمة يتلوها تمهيد ومبحثان وخاتمة.

المقدمة: تشمل:

أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهداف البحث وأسئلته والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطة البحث، وقد مضت:

التمهيد: وفيه التعريف بالسبب والاستغفار والعقيدة في اللغة والاصطلاح وبيان معنى الأسباب العقدية و شروط قبول الاستغفار.

المبحث الأول: حديث سيد الاستغفار أهميته وسبب تسميته وأقوال العلماء فيه ومعناه العام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: متن الحديث وسنده.

المطلب الثاني: أهمية حديث سيد الاستغفار وسبب تسميته وأقوال العلماء فيه.

المطلب الثالث: المعنى العام لحديث سيد الاستغفار.

المبحث الثاني: الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب من خلال حديث سيد الاستغفار وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق توحيد الربوبية وأثره في مغفرة الذنوب وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الربوبية.

المسألة الثانية: معنى تحقيق توحيد الربوبية.

المسألة الثالثة: أثر تحقيق توحيد الربوبية في مغفرة الذنوب.

المسألة الرابعة: الاعتراف بالنعم والذنب والتقصير وأثره في مغفرة الذنوب.

المطلب الثاني: تحقيق توحيد الألوهية وأثره في مغفرة الذنوب وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: تعريف توحيد الألوهية.

المسألة الثانية: معنى تحقيق توحيد الألوهية.

المسألة الثالثة: أثر تحقيق توحيد الألوهية في مغفرة الذنوب.

المسألة الرابعة: تحقيق الافتقار وأثره في مغفرة الذنوب.

المسألة الخامسة: اليقين وأثره في مغفرة الذنوب.

المطلب الثالث: تحقيق توحيد الأسماء والصفات وأثره في مغفرة الذنوب.

الخاتمة. المراجع.

التمهيد:

أولًا: معنى السبب لغة واصطلاحًا

السبب لغة: السبب في اللغة له معان منها: المودة، والمنازل، والحبل، والصولة والذريعة، وكل شيء يتوصل به إلى غيره والجمع أسباب[١]، قال الرازي: (والسبب: الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره)[٢].

السبب اصطلاحًا: عُرف السبب بتعاريف مختلفة ومصطلحات ومعانٍ متقاربة مؤتلفة، ومن أهمها ما يلي:

١-قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "فأما السبب، فالمراد به: ما وضع شرعًا لحكم؛ لحكمة يقتضيها ذلك الحكم، كما كان حصول النصاب سببًا في وجوب الزكاة، والزوال سببًا في وجوب الصلاة، وما أشبه ذلك "[٣].

٢-وقال القاضي أبو يعلى الفراء رحمه الله: " والسبب: ما يتوصل به إلى الحكم ويكون طريقًا لثبوته، سواء كان دليلًا أو شرطًا أو سؤالًا مثيرًا للحكم "[٤].

والراجح هو تعريف القاضي أبي يعلى الفراء رحمه الله لموافقته للمعنى اللغوي.

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري (١٢ / ٢١٩ – ٢٢٠)، مختار الصحاح، الرازي (١ / ١١٩)، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٢ / ٣٢٩)، لسان العرب، ابن منظر (٤ / ٤٦٠).

(٢) مختار الصحاح، الرازي (١ / ١١٩).

(٣) الموافقات، الشاطبي (١ / ٤١٠).

(٤) العدة في أصول الفقه، القاضي أبي يعلى الفراء (١ / ١٨٢).

مذهب السلف في الأسباب وبيان أقسامها:

لقد خلق الله -ﷻ- الخلق، والأسباب من خلقه فهو -سبحانه -يدبر مخلوقاته بعضها ببعض، ويمكن لنا بيان مذهب السلف وأقوال مخالفيهم فيما يتعلق بالأسباب مع الرد عليها من الناحيتين التاليتين:

١- مذهب السلف في تأثير الأسباب في مسبباتها:

يرى أهل السنة والجماعة: "أن الأسباب تؤثر في مسبباتها فالله خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببًا لهذا، وهذه الأسباب تقع خلقًا وأمرًا وقدرًا وشرعًا تحت مشيئة الله وتدبيره"(١)، وقد خالفهم في ذلك المعتزلة القدرية والأشاعرة الجبرية، حيث غلا المعتزلة في إثبات الأسباب حتى ربطوا العالم العلوى والسفلي بها استقلالًا، بدون ارتباطها بمشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته(٢)، وغلا الأشاعرة في نفيها وإنكارها، وزعموا أن الأسباب لا تأثير لها في حصول مسبباتها، وأن التلازم الظاهر بين الأسباب والمسببات إنما يرجع إلى جريان العادة بحصول المسبب عند وجود السبب، وإلا فالمسبب حاصلٌ سواء وُجد السبب أو لم يوجد، ولو وُجد فإنه لا تأثير له في حصول المسبب، فمثلًا الاحتراق من المسببات يخلقه الله تعالى عند التقاء الخشب بالنار لا بسبب أن

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨ / ١٣٣ – ١٣٩)، مدارج السالكين، ابن القيم (١ / ٢٤٣-٢٤٤)

(٢) انظر: الصفدية، ابن تيمية (٢ / ٢١٣)، منهاج السنة، ابن تيمية (٣ / ٣١ -٧٤ – ٧٥ – ٢٣٩)، دقائق التفسير، ابن تيمية (٢ / ٣٩٢).

النار محرقة[1]، وهذا بلا شك مذهب باطل مخالف للشرع والعقل والحس والفطرة وما عليه سائر العقلاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على أصحاب هذا الرأي: (ومن قال إن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست سببًا، أو أن وجودها كعدمها، وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي كاقتران الدليل بالمدلول، فقد جحد ما في خلْقِ الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل، ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تُبصر بها، ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرِجْل يعقل بها، ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تُحرق بها، وهؤلاء ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز، قال بعض الفضلاء:" تكلم قوم من الناس في إبطال الأسباب والقوى والطبائع فأضحكوا العقلاء من عقولهم، ثم إن هؤلاء يقولون: لا ينبغي للإنسان أن يقول إنه شبع بالخبز، وروي بالماء، بل يقول شبعت عنده ورويت عنده، فإن الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقترنات بها عادة لا بها، وهذا خلاف الكتاب والسنة فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ

(١) انظر: الإرشاد، الجويني (٢٠٦ – ٢٠٨)، التمهيد، الباقلاني (٥٦ – ٥٩)، تهافت الفلاسفة، الغزالي (١٩٥)، الملل والنحل، الشهرستاني (١ / ١١٢)، الأربعين في أصول الدين، الرازي (١ / ٣٤١ – ٣٤٢)، المواقف، الإيجي (٣١٦-٣١٩)، شرح المقاصد، التفتازاني (٤ / ٢٧١ – ٢٧٣).

إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ ﴾ [التوبة: ٥٢]، ومثل هذا في القرآن كثير، وكذلك في الحديث عن النبي ﷺ كقوله: "إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن الله جاعل بصلاتي عليهم نورًا "(١)، ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الأسباب المقدرة في خلق الله، من أبطل الأسباب المشروعة في أمر الله، كالذين يظنون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة، وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدرًا حصل بدون ذلك، وإن لم يكن لم يحصل بذلك)(٢)، وهؤلاء كالذين قالوا للنبي ﷺ:" أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب ؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له "(٣)، وقد أنكر تعالى على من ظن أن وجود الأسباب كعدمها في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]، والله ﷻ خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببًا لهذا، فإذا قال القائل:إن كان هذا مقدرًا حصل بدون السبب وإلا لم يحصل، جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدرًا بدون السبب، ومعلوم أنه ليس في المخلوقات شئ هو وحده علة تامة، وسبب تام للحوادث، بمعنى أن وجوده مستلزم لوجود الحوادث، بل ليس هذا إلا مشيئة الله تعالى خاصة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، أما الأسباب

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر (٢ / ٦٥٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨ / ١٣٦ – ١٣٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله (٧ / ٢١٠)

المخلوقة كالنار في الإحراق، والشمس في الإشراق، والطعام والشراب في الإشباع والإرواء، ونحو ذلك فجميع هذه الأمور سبب لا يكون الحادث به وحده، بل لا بد من أن ينضم إليه سبب آخر، ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الأثر، فكل سبب فهو موقوف على وجود شروط وانتفاء الموانع، وليس في المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شئ)[1]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (والناس في الأسباب والقوى والطبائع ثلاثة أقسام: منهم من بالغ في نفيها وإنكارها، فأفضحك العقلاء على عقله، وزعم أنه بذلك ينصر الشرع فجنى على العقل والشرع، ومنهم من ربط العالم العلوي والسفلي بها بدون ارتباط بمشيئة فاعل مختار مدبر لها يصرفها كيف أراد، وهذان طرفان جائران عن الصواب، ومنهم من أثبتها خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا، وأنزلها بالمحل الذي أنزلها الله به، من كونها تحت تدبيره ومشيئته، ومحل جريان حكمه عليها، فيقوي سبحانه بعضها ببعض، ويبطل -إن شاء-بعضها ببعض، ويسلب بعضها قوته وسببه، ليُعلِمَ خلقَه أنّه الفعّالُ لما يريد، وأن التعلق بالأسباب دونه كالتعلق ببيت العنكبوت مع كونه سببًا...)[2]، وهذا هو أعدل الأقوال وأولاها بالصواب.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨ / ١٣٣ – ١٣٩)، مجموعة الرسائل الكبرى، ابن تيمية (١ / ٣٧٢ – ٣٧٤).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (١ / ٢٤٣)، وانظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (٢ / ٢٩٨ – ٢٩٩).

٢ –مذهب السلف في ترتيب الجزاء على الأعمال وكونها سببًا في دخول الجنة:

أ –يرى أهل السنة والجماعة أن العبد لا يستوجب على ربه جزاءًا، بل ذلك فضل منه وإحسان، وقد جعل الأعمال سببًا في حصول الثواب والعقاب.

ب –أن الأعمال مجرد أسبابٍ لا تغني عن رحمة الله وفضله، ولا تعمل بدونها(١).

وقد خالفهم في ذلك المعتزلة القدرية والأشاعرة الجبرية، فيرى المعتزلة أن الثواب على الأعمال واجب على الله، وليس ذلك فضل ولا منّة –تعالى الله عن ذلك –بل التفضل معنى آخر وراء الثواب(٢)، بناءً على أن العبد هو الخالق لأفعاله خيرها وشرها، بينما الأشاعرة ينفون أن يكون للأعمال أثر في حصول الثواب، أو العقاب، بناءً على أن الفاعل الحقيقي لها هو الله ﷻ، فالثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر(٣)، والصواب هو ما عليه أهل السنة والجماعة وهو أن الله قد جعل الأعمال سببًا في حصول الثواب والعقاب، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال عن الكفار: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ٢٨]،

---

(١) انظر: شرح الطحاوية، ابن ابي العز (٤٣٢ – ٤٣٣)، المحجة في سير الدلجة، ابن رجب (٢٨).

(٢) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١ / ٥٧).

(٣) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١ / ٩٨).

وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص: ٨٤]، ومعلوم أن السبب لا يستقل بالحكم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: (لن يدخل الجنة أحد بعمله...)[1]، ومراده نفي أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنة كما زعمت المعتزلة، فإن الباء في الحديث هي التي بمعنى (العوض) أي: أن العمل وحده لا يكفي في دخول العبد الجنة، بل لا بد من عفو الله وفضله ورحمته، والباء في قوله تعالى: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، وغيرها باء السبب أي بسبب عملكم، والله ﷻ خلق الأسباب والمسببات، فراجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، وليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر عنه بذلك، ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقًا زائدًا على هذا، كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الروم: ٤٧]، لكن أهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحق، لم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدّعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن

---

(١) صحيح البخاري، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: (٦٤٦٧)، (٨ / ٩٨).

(٢) انظر: شرح الطحاوية، ابن ابي العز (٤٣٢ – ٤٣٣).

يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك)[1]، وقال الإمام النووي -رحمه الله- عند شرحه لأحاديث الباب: (في هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته أما قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢]، وقوله: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل: ٧٢]، ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذا الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي رحمة الله)[2]، فالمثبت في القرآن ليس هو المنفي في السنة، فمن زعم أن العبد مستوجب على الله الأجر، وأن الجزاء من الله على سبيل المعاوضة، فقد خالف الصواب وابتعد عن الحق.

أقسام الأسباب:

إذا تبين ذلك فإن الله ﷻ قد أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل عليه، وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين:

١- الأسباب الجائزة وتُسمى الأسباب الشرعية: وهي كل سبب نافع في حصول المسبَّب، ولم ينه الشرع عنه نهي تحريم.

---

(١) فتح المجيد، ال الشيخ (٣١).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي (١٧ / ١٦٠ -١٦١).

٢-الأسباب غير الجائزة: وهي كل سبب نهى عنه الشرع نهي تحريم، كالسرقة مثلًا سبب لحصول المال، لكنه سبب محرم منهي عنه شرعًا، أو كان أمرًا مباحًا في نفسه، لكن لم يثبت أنه سبب في حصول المسبَّب،كلبس حلقة لاتقاء الأمراض، فهذا تحريمه من جهة اعتقاده سببًا، وقد يقع الشرك في باب الأسباب: إما باعتقاد سببية ما ليس سببًا، أو بالتعلق بالسبب النافع مع الغفلة عن الاعتماد على الله ﷻ، وبالجملة ينبغي أن يُعرف في الأسباب أمور[١]:

١-أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب، بل لا بد معه من أسباب أُخر، ومع هذا فلها موانع، فإذا لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع، لم يحصل المقصود.

٢-لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئًا سببًا بلا علم أو كان مخالفًا للشرع كان باطلًا، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء.

٣- أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيئًا سببًا إلا أن تكون مشروعة، فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره، وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه، وكذلك لا يُعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة.

٤- أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

---

(١) الواسطة بين الحق والخلق، ابن تيمية (١ / ٤٤ -٣٣).

ثانيًا: معنى العقيدة لغةً واصطلاحًا

العقيدة لغةً: مأخوذة من (العقد)، وهي مصدر (عقد) وتدور مادتها وما تصرف منها على عدة معان منها:

١-التوكيد: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١]، أي بعد عقدها وتوثيقها.

٢-الشد والربط المحكم: تقول عقد طرفي الحبل، أي أوصل أحدهما بالآخر بعقدة تمسكهما فأحكم وصلها.

٣-الملازمة: لما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)[(١)]، أي: أن الخير ملازم لها كأنه معقود في نواصيها.

٤-القرب: تقول فلان مني (معقد الإزار) أي: قريب المنزلة عندي.

٥-إبرام الشئ وإحكامه: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

٦-ومنه الثبات، والاستحكام، والوجوب، والصلابة[(٢)].

العقيدة اصطلاحًا:

١-العقيدة في الاصطلاح العام: هي الحكم الجازم الذي يعقد الإنسان قلبه عليه بغير تردد أو شك فيخرج منه الوهم والشك والظن، يقول ابن تيمية

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة،حديث رقم: (٢٨٤٩)، (٤/ ٢٨)

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤ / ٨٦)، لسان العرب، ابن منظور، مادة (عقد)، (٤ / ٣٠٣١)، مختار الصحاح، الرازي، مادة (عقد)، (٢ / ٥١٠).

رحمه الله: (إن العقائد هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك)[١].

٢-العقيدة في الاصطلاح الخاص (العقيدة الإسلامية): (هي العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية، أي: العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية)[٢].

ثالثًا: معنى الاستغفار لغةً واصطلاحًا

١-الاستغفار لغة: الاستغفار مصدر قولهم: استغفر يستغفر، وهو مأخوذ من مادة (غَ فَ رَ) التي تدل على الستر في الغالب الأعم، فالغفر الستر والغفر والغفران بمعنى واحد، يقال: غفر الله ذنبه غفراً ومغفرةً وغفراناً[٣]، قال ابن منظور: (أصل الغفر التغطية والستر، يقال: اللهم اغفر لنا مغفرة، واستغفر اللهَ ذنبَه على حذف الحرف طلب منه غفره)[٤]، **٢-الاستغفار اصطلاحًا:** بناء على التعريف اللغوي: الألف والسين تستعمل للطلب، ومما سبق علمنا أن الاستغفار لغة: هو الستر والتغطية، فيصبح التعريف الاصطلاحي له: هو طلب الستر والمغفرة من الله ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه، وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن،

(١) مجموع الرسائل والمسائل، ابن تيمية (٢٩)
(٢) لوامع الأنوار البهية، السفاريني (١ / ٥)
(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس (٤ / ٣٨٥).
(٤) لسان العرب، ابن منظور (٥ / ٢٥).

ومن عوقب على الذنب باطنًا أو ظاهرًا فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنب، إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب، وأما إذا ابتلي مع ذلك بما يكون سببًا في حقه لزيادة أجره فهذا لا ينافي المغفرة)[1]، فيتضح من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن الاستغفار يشمل مغفرة الذنب وليس مجرد ستره وهذا ما وعد الله به عباده المؤمنين في حديث عرض الأعمال حيث يقول ﷺ: (إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته)[2].

رابعاً: معنى الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب في حديث سيد الاستغفار: من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للسبب والعقيدة والاستغفار يمكن أن نصل إلى تعريف الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب في حديث سيد الاستغفار بأنها: الأسباب المنسوبة لمباحث العقيدة التي يتوصل بها العبد إلى مغفرة الذنوب، المستخرجة من حديث (سيد الاستغفار) والتي سيتم الحديث عنها في ثنايا هذا البحث.

خامساً: شروط قبول الاستغفار: يشترط لقبول الاستغفار وغيره من الأعمال الصالحة شروط لا بد من توافرها وهي:

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠ / ٣١٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين)، حديث رقم: (١٣٣٦).

١-الإخلاص لله ﷻ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥]

٢-المتابعة للنبي ﷺ، لحديث: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)(١)، وذلك أن الاستغفار عبادة لله ﷻ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ولا بد في عبادته من أصلين: إخلاص الدين لله، والثاني: موافقة أمر الله الذي بعث به رسله)(٢)، والإخلاص أن يكون العمل لوجه الله ﷻ، وموافقة أمره: هو ألا يعبد الله إلا بما شرع قال الفضيل بن عياض -رحمه الله- في قوله -ﷻ-: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢]، قال: (أخلصه وأصوبه، قيل يرحمك الله: ما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله ﷻ، والصواب أن يكون على السنة)(٣).

٣-الندم على فعل الذنب والعزم على عدم العودة إليه مرة أخرى.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم: (١٧١٨).

(٢) العبودية، ابن تيمية (٤٤).

(٣) التدمرية، ابن تيمية (٢٣٣).

٤-الاعتراف بالذنب والإقلاع عنه، وعدم الإصرار عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله -: (وقوله – تعالى-: ولم يصروا على ما فعلوا: فيه إشارة إلى أن من شرط قبول الاستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب، وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب)[١]، والمذنب إذا تاب عن الذنب صار حاله كحال من لم يذنب قط في نيل المنزلة والكرامة عند الله، ولا بد من حضور القلب، و الإكثار من الاستغفار، وقد أورد هذين الشرطين الإمام ابن الجوزي-رحمه الله – فقال: (الذكر لله له شرطان:حضور القلب في تحريره، وبذل الجسد في تكثيره، فإن أحببت أن تكون في الراسخين الأقدام في هذا المقام فحرر الذكر على الإحسان، وكَثِّره بقدر الإمكان)[٢]، وهذه الشروط لا بد من اجتماعها، حتى يثمر الاستغفار، وتؤثر نتائجه في نفس العبد، فلو توفر شرط لا يكفي لكمال الاستغفار وقبوله، فلا بد من التكامل في توفر الشروط، حتى ينال العبد التائب المغفرة من الله ﷻ، فهنا تتجلى معاني العفو الربانية، ويرسخ في النفس معنى اسم الله الغفور، و التواب، و الله -ﷻ-يفرح بتوبة عبده ويرضى عنه بذلك.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر (١١ / ٩٩).

(٢) التذكرة في الوعظ، ابن الجوزي (١ / ٥٩).

المبحث الأول: حديث سيد الاستغفار، أهميته، وسبب تسميته، وأقوال العلماء فيه، ومعناه العام.

المطلب الأول: متن الحديث وسنده:

قال الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه: **(حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ العَدَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ موقنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)**[1].

وقد أخرجه عن شداد ابن أوس رضي الله عنه كل من الترمذي، والنسائي، وأحمد[2]، ويلاحظ في هذه الروايات اتفاقها في المعنى، مع الاختلاف في بعض الألفاظ، ففي رواية البخاري، أبوء، وفي بعض الروايات الآخرى، (أعترف..)[3]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ح (٦٣٩٣)ج٨/ص٦٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب إذا أصبح وإذا أمسى، حديث رقم: (٣٣٩٣)، (٥ / ٤٦٧)، وسنن النسائي (٨ / ٢٧٩)، مسند الأمام أحمد (٢٨ / ٣٥٥).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب إذا أصبح وإذا أمسى، حديث رقم: (٣٣٩٣).

وكلاهما بنفس المعنى كما في المعجم الوسيط: (باء به وإليه وبما عليه: احتمله واعترف به)[1]، وكذلك جاء في بعض الروايات: (دخل الجنة)[2]، وجاء في رواية أخرى: (إلا وجبت له الجنة)[3]، وهذا الدعاء يقال في الصباح وفي المساء، ولهذا عد أهل العلم هذا الحديث من عمل اليوم والليلة أي من أذكار الصباح والمساء، فيقوله العبد إذا أصبح وإذا أمسى، ومن قال هذا ومات من يومه قبل أن يمسي دخل الجنة، ومن قال هذا ومات من ليلته قبل أن يصبح دخل الجنة، ووجبت له، وهذا ما يرجوه العبد بعد موته ويتمناه، وليس لشداد ﷺ في صحيح البخاري غير هذا الحديث وانفرد بإخراجه البخاري إذ لم يخرجه مسلم، وأخرجه بعض أهل السنن مثل النسائي والترمذي بألفاظ فيها دلالةً على أهمية تعلم هذا الاستغفار، ففي رواية للترمذي[4] يقول ﷺ: (ألا أدلكم على سيد الاستغفار)، و في سنن النسائي وابن عبد ابن حميد[5]، عن هشام، عن أبي الزبير، عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (تعلموا سيد الاستغفار)، ويلاحظ في هذه الرواية الحث على تعلم سيد الاستغفار والأمر بذلك أمر استحباب وندب لما له من جزيل الفضل وعظيم الثواب.

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٧٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، حديث رقم: (٦٣٢٣)

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، حديث رقم: (٣٣٩٣)، (٥ / ٤٠٠).

(٤) برقم: (٣٣٩٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٧٤٧).

(٥) السنن الكبرى، النسائي (٩ / ١٧٥)، المنتخب من مسند عبد بن حميد (٣٢٣).

والحديث له روايات أخر عن بعض الصحابة ﷺ منها: ما روي عن أبي هريرة وابن عمر وابن مسعود وابن أبزى وابن بريدة عن أبيه، عن النبي ﷺ وذكر الحديث، أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والبزار[1]، ويلاحظ على هذه الروايات الاتفاق في المعنى مع اختلاف بسيط في الألفاظ لا يؤثر في المعنى.

المطلب الثاني: أهمية حديث سيد الاستغفار، وسبب تسميته، وأقوال العلماء فيه: لمَّا كان من طبيعة الإنسان الخطأ والنسيان، ووقوع الذنب منه والعصيان، أراد النبي ﷺ أن يعلمنا أدعية جامعة لمعاني الاستغفار، حتى تكون سببًا لمغفرة الله ﷻ لذنوبنا ومعاصينا، فكان من هذه الأدعية التي علمنا إياها النبي ﷺ دعاءً سماه سيد الاستغفار، والسيد: المتولي للسواد، أي الجماعة، ولما كان شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس، قيل لكل من كان فاضلاً في نفسه: سيد، وعلى ذلك قوله تعالى في حق سيدنا يحيى عليه السلام: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٩].[2]، قال الطيبي: (لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور)[3]، وقد بين العيني رحمه الله، أهمية هذا الدعاء بهذه العبارة الموجزة

---

(١) سنن ابن ماجه، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (٢ / ١٢٧٤)، سنن أبي داود، باب ما يقول إذا أصبح
(٤ / ٣١٧)، مسند البزار (البحر الزخار) (١٠ / ٣٣٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (١ / ٤٣٢).

(٣) فتح الباري، ابن حجر (١١ / ٩٩).

فقال: (قد ذُكر الله تعالى فيه بأكمل الأوصاف، وذُكر العبد بأضعف الحالات، وهذا أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة والخضوع لمن لا يستحق ذلك إلا هو سبحانه)[1]، وقال ابن أبي جمرة رحمه الله: (جمُع في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يُسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به والاستعاذة من شر ما جني العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافة بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو... فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدر عليه وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة، لم يبق إلا أحد أمرين: إما العقوبة بمقتضى العدل أو العفو بمقتضى الفضل)[2]، فإن قيل: أين لفظ الاستغفار في هذا الدعاء، وقد سماه النبي ﷺ سيد الاستغفار؟ قيل: الاستغفار في لسان العرب هو طلب المغفرة من الله تعالى، وسؤاله غفران الذنوب السالفة والاعتراف بها، وكل دعاء كان في هذا المعنى فهو استغفار، مع أن في الحديث لفظ الاستغفار، وهو قوله: (فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)[3]، وما الحكمة في كونه سيد الاستغفار؟ وأجيب: بأنه وأمثاله من التعبدات -والله تعالى أعلم بذلك -لكن لا شك أن فيه ذكر الله تعالى بأكمل الأوصاف، وذكر نفسه بأنقص الحالات، وهو أقصى غاية

(١) عمدة القاري، العيني (٢٢ / ٢٧٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (١١ / ٩٩)، فيض القدير، المناوي (٤ / ١١٩).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٠ / ٧٧).

التضرع، ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلا هو[1]، وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- مبينًا فضل هذا الحديث: (فتضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده، والاعتراف بأنه خالقه العالم به؛ إذ إنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته لا مهرب له منه، ولا ولي له سواه، ثم التزام الدخول تحت عهده – وهو أمره ونهيه – الذي عهده إليه على لسان رسوله، وأن ذلك بحسب استطاعتي لا بحسب أداء حقك، فإنه غير مقدور للبشر، وإنما هو جهد المقل وقدر الطاقة، ومع ذلك فأنا مصدقٌ بوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب، ولأهل معصيتك بالعقاب فأنا مقيم على عهدك مصدق بوعدك، ثم أفزع إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تُعذني من شره وإلا أحاطت بي الهلكة، فإن إضاعة حقك سبب الهلاك، وأنا أقر لك وألتزم بنعمتك علي، وأقر وألتزم وأبخع بذنبي، فمنك النعمة والإحسان والفضل، ومني الذنب و الإساءة، فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي وأن تُعفيني من شره إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فلهذا كان هذا الدعاء سيد الاستغفار، وهو متضمن لمحض العبودية)[2]

(١) عمدة القاري، العيني (٢٢ / ٢٧٨).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (١ / ٢٢١-٢٢٢).

المطلب الثالث: المعنى العام لحديث سيد الاستغفار:

قوله: (سيد الاستغفار)، أي أفضله، والسيد هو المقدام[١]، والسيد في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور، وسيد القوم أفضلهم، (اللهم) لفظة ترد كثيرا في الدعاء في كتاب الله، وفي سنة النبي ﷺ، يقول ابن القيم رحمة الله تعالى: (ولا خلاف أن لفظة (اللهم) معناه: يا الله، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: (اللهم اغفر لي وأرحمني)[٢]، وبعد الافتتاح بالدعاء: (اللهم) ثنَّى بقوله: (أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك)، ففي هذا جمع بين التوحيدين بالاعتراف له بتوحيد المعرفة، والإثبات، وهو توحيد الله بأفعاله، كالخلق، والرزق، والإنعام، والإحياء، والأمانة، والتصرف، ونحو ذلك، وبأسمائه وصفاته العليا، والاعتراف له بتوحيد القصد والطلب، وهو توحيد الألوهية، فتقول: اللهم أنت ربي، وأنا عبدك، فتقر لله ﷻ بلسانك وبقلبك أن الله هو ربك المالك لك، المدبر لأمرك، المعتني بحالك، وأنت عبده كونًا وشرعًا، عبده كونًا يفعل بك ما يشاء إن شاء أمرضك وإن شاء أصحك، وإن شاء أغناك، وإن شاء أفقرك، وإن شاء أضلك وإن شاء هداك، حسبما تقتضيه حكمته ﷻ، وكذلك أنت عبده شرعًا تتعبد له بما أمر تقوم بأوامره، وتنتهي عن نواهيه، تقر بذلك، وتقر بأن الله الذي خلقك هو الذي أوجدك من العدم[٣]، قوله:

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (٢ / ٢٠٩).

(٢) انظر: جلاء الإفهام، ابن القيم (١٤٣ – ١٤٧)

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين (٦ / ٧١٧).

(وأنت ربي): معناها الذي رباني، وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، ورب كل شيء بالإيجاد والإمداد، والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، والرب هو المستحق للعبادة، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (إنه الخالق الرازق، مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فهذا يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره؛ ولهذا قال سبحانه: فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون)[١]،

(لا إله إلا أنت) معناها: لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فالألوهية صفة للرب وهي تفرده بحق العبودية والتعظيم قبل أن تكون صفة للعبد وهي إفراده بذلك، فصح أن يكون معنى الإله: أنه المعبود، ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[٢]، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، وهو إنما دعاهم إلى (لا إله إلا الله)، فهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، وهو: عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله[٣]، وفيها الاعتراف والاقرار بالألوهية، وهذه

---

(١) تفسير ابن كثير (١ / ١٠٤)، ومرقاة المفاتيح، القاري (٤ / ١٦١٩)، وثلاثة الأصول، محمد بن عبدالوهاب (١ / ١٨٧)

(٢) مسند الإمام أحمد، حديث رقم: (٢٣١٩٢)، وصححه شعيب الأرناؤوط برقم: (٢٩٧٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد، ال الشيخ (٥٢).

الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) التي بُدئ بها هذا الحديث هي التي من أجلها خُلقت الخليقة، وقامت لأجلها السموات والأرض، وأوجدت الجنة والنار، وانقسم الناس تجاهها إلى قسمين: أهل سعادة وأهل شقاء، فمن أقر بها فهو من السعداء أهل الجنة والنعيم، ومن أنكرها وأعرض عنها فهو من الأشقياء أهل النار والعذاب المقيم، ولا تنفع قائلها إلا إذا أتى بشروطها الواردة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وهي العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشك، والقبول المنافي للرد، والانقياد المنافي للإعراض، والصدق المنافي للكذب، والإخلاص المنافي للنفاق، والمحبة المنافية للبغض[1]، (خلقتني): الخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق[2]، ويجب إفراده بالخلق وهو: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[الأعراف: ٥٤]، فهذه الجملة تفيد الحصر لتقديم الخبر، إذ إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وقال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٣]، فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله، لأن الاستفهام فيها مشرب معنى التحدي[3]، (وأنا عبدك) أي: مخلوقك ومملوكك، وهو حال، وفي هذا الحديث إشارة إلى أن النبي ﷺ مربوب لا رب، عابد لا معبود، فهو داخل في قوله: (وأنا عبدك) وكفى به شرفًا أن

(١) انظر: معارج القبول، الحكمي (٢ / ٤١٩).

(٢) تفسير البغوي، (١ / ٩٣).

(٣) القول المفيد، ابن عثيمين (١ / ١٢).

يكون عبدًا لله، ولهذا يصفه الله تعالى بالعبودية في أعلى مقاماته، فقال: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠][1]، وفي قوله: (خلقتني وأنا عبدك)، إشارة إلى أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فإذا أقر العبد بأنه لا خالق إلا الله فعليه ألا يعبد إلا الله، فكما أنه لا شريك له في الخلق فلا شريك له في العبادة، ولهذا يُعاب أشد العيب من يدعو غير الله، أو يستغيث بغيره، أو يصرف لغيره شئ من أنواع العبادة، ويلجأ إلى من لا ينفعه ولا يضره، ويَدَعُ الخالق الرازق النافع الضار المنعم المتصرف في شؤون خلقه كلها –سبحانه –، وفي قوله: (وأنا عبدك)، الاعتراف التام لله بالعبودية، وعبودية الخلق لله نوعان[2]: عبودية لربوبيته، وعبودية لألوهيته، عبودية لربوبيته: بمعنى أن الخلق كلهم الله أوجدهم وخلقهم ويرزقهم ويحييهم ويُميتهم، لا شريك له في ذلك قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣]، فهذه العبودية لا يخرج عنها مخلوق؛ لأن الله هو الذي أوجده وخلقه ورزقه ويحييه ويميته، والقسم الثاني: عبودية لألوهيته وهذه خص الله بها بعض خلقه الذين وفقهم للإيمان وهداهم لطاعة الرحمن فهم يخضعون له ويطيعونه وينقادون لشرعه، ويمتثلون أمره، ويطيعون رسله، وهي خاصة لبعض الخلق الأنبياء واتباعهم، ولهذا أضافهم الله إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم، كما قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الرحمن: ٦٣

(١) المصدر السابق (١ / ٣٢).

(٢) انظر: شرح حديث سيد الاستغفار، د.عبدالرزاق البدر (٢٤ –٢٥).

]، والمقصود بقوله: (وأنا عبدك) في الحديث العبودية لألوهيته الله، لأن العبودية لربوبيته الله أشار إليها في قوله: (خلقتني)، وبقوله: (اللهم أنت ربي)، فقوله: (أنا عبدك) أي: عابدٌ لك، ومطيعٌ لك، وممتثلٌ أمرك، ومنقادٌ لشرعك، (وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت) يعني: ثابت ومستمر على الوفاء بما عاهدتك عليه، ووعد بالقيام به، من صدق الإيمان بك، وحسن التوكل عليك، وصالح الطاعة لك، (ما استطعت) قدر استطاعتي، والعهد الذي أخذه الله على عباده في أصل خلقهم حين أخرجهم من أصلاب آبائهم أمثال الذر، ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فأقروا له في أصل خلقهم بالربوبية، وأذعنوا له بالوحدانية[١]، (ووعدك) الذي واعدتك من الإيمان بك، والإخلاص[٢]، قيل: الوعد ما قال على لسان نبيه: أن من مات لا يشرك بالله شيئا، وأدى ما افترض عليه، أن يدخله الجنة[٣]، (أعوذ بك من شر ما صنعت) أستجير وألتجئ، (ما صنعت) أي: صنعًا وما صنعته أي: من الإثم والعذاب والبلاء المرتب على ذلك[٤]، قوله: (أبوء لك بنعمتك علي): (أبوء) أقر واعترف أي أعترف بالنعمة والاستغفار من الذنوب، وتتناول نعمته عليه في إعانته على الطاعات، ولم يقيده لأنه يشمل أنواع الإنعام، اعتراف بالتقصير وأنه لم يقم

(١) فتح الباري، ابن حجر (١١ / ٩٩)، شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٠ / ٧٦).

(٢) إرشاد الساري، القسطلاني (٩ / ١٨٨).

(٣) عمدة القاري، العيني (٢٢/٢٧٨).

(٤) فتح الباري، ابن حجر (١١ / ٩٩)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، البكري (٨ / ٧١٩).

بأداء شكرها، وأبوء لك بذنبي أي أعترف، يقال: باء فلان بذنبه: إذا احتمله كرهًا لا يستطيع دفعه عن نفسه، وقيل معناه أحمله برغمي، لا أستطيع صرفه عني، بالغ فعده ذنبًا مبالغةً في التقصير وهضم النفس[1]، وفي قوله: (أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي) إشارة إلى أمر ذكره أهل العلم، وهو أن العبد في هذه الحياة في صباحه ومسائه يتقلب بين أمرين: نعمة حادثة من الله ﷻ وهي محتاجة إلى شكر، أو ذنب يقع فيه لتقصيره فهو محتاج إلى استغفار، فالحديث جمع بين الأمرين، ولهذا قال بعض السلف: (إني أصبح بين نعمة وذنب، فأريد أن أُحدِث للنعمةشكراً، وللذنب استغفارًا)[2]، قوله: (فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت): يؤخذ منه أن من اعترف بذنبه غفر له، وفيه أن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه[3]، قوله: (من قالها موقنًا بها) أي مخلصًا من قلبه مصدقًا بثوابها، واليقين أبلغ علم مكتسب يرتفع معه الشك، لظهور برهانه، والكلام يحتمل معنيين: أحدهما: اليقين بم يقر له، والثاني: اليقين بما تحويه الكلمات، وذلك يكون بحضور القلب، وصدق الاعتراف، لا بلقلقة اللسان فقط[4]، قوله: (فمات من يومه ذلك قبل أن يمسي)، أي يدخل في المساء، (فهو من أهل الجنة) أي ممن استحق دخولها

(١) فتح الباري، ابن حجر (١١ / ٩٩)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (٢ / ٢٠٩).

(٢) جامع الرسائل، ابن تيمية (١ / ١١٦)، طريق الهجرتين، ابن القيم (١٧٠).

(٣) المرجع السابق (١١ / ١٠٠).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (٢ / ٢٠٩)، عمدة القاري، العيني (٢٢ / ٢٧٨).

مع السالفين الأولين، أو بغير سبق عذاب، وإلا فكل مؤمن يدخلها وإن لم يقلها، (ومن قالها من الليل وهو موقن فمات قبل أن يصبح)، أي يدخل في الصباح (فهو من أهل الجنة)[1].

(١) فيض القدير، المناوي (٤ / ١١٩).

المبحث الثاني: الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب من خلال حديث سيد الاستغفار

عند التأمل في حديث (سيد الاستغفار) نجد أنه يشتمل على أسباب عقدية جليلة لمغفرة الذنوب حريٌ بالمؤمن معرفتها والحرص على العمل بها، وقد تم استنباطها من الحديث بناءً على الأمور التالية:

١-أن هذا الدعاء المبارك سماه النبي ﷺ: (سيد الاستغفار)، أي أفضل الاستغفار وما فُضّل على غيره من الأدعية المأثورة والابتهالات، إلا لاشتماله على معاني الاستغفار والتوبة، ولأن صيغة: (سيد الاستغفار) المذكورة في الحديث هي أفضل صيغ الاستغفار وأكملها، ولهذا عنون له البخاري في صحيحه بقوله: (باب أفضل الاستغفار)، وعندما نقف على معاني الحديث، وما اشتمل عليه من الجوانب العقدية الجامعة في الدعاء والخضوع والتذلل والانكسار والافتقار، والاعتراف بفضل الله ونعمته، وأنه لا يغفر الذنوب إلا هو، نتبين أن هذه الصيغة المذكورة صيغة عظيمة يستحق بها أن يوصف بأنه سيد الاستغفار، وأن الأعمال العقدية الواردة فيه من أهم أسباب مغفرة الذنوب.

٢-جاء في خاتمة هذا الحديث الشريف وعدٌ كريم تضمن دخول الجنة لمن واظب على الإتيان به صباحًا أو مساءً حيث يقول النبي ﷺ: (ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة)، فمقتضى هذا الوعد الكريم إجابة دعاء سيد الاستغفار؛ لأن صاحبه سيكون

من أهل الجنة إن قالها موقنًا بها صباحًا أومساءً، ومثل هذا الوعد الكريم لا يكون لمذنب لم يغفر له ذنبه، مما يؤكد أن الأعمال العقدية المذكورة فيه من أسباب مغفرة الذنوب، يقول السفاريني -رحمه الله- عند شرحه لقوله ﷺ: (فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة): (لأنه افتتح نهاره بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاعتراف بالعبودية، ومشاهدة المنة من إسداء النعم، ومطالعة عيب النفس والعمل من مقارفة المعاصي واللمم، وطلب المغفرة من الغفار، وهو قائم على قدم الذل والإنكسار، وواقف على عتبة المسكنة والافتقار، وضارع بأكف الابتهال والاحتقار، يطلب الإقالة والرجوع، ويطلب العفو والصفح)[1].

٣-أن هذا الحديث الشريف نهج فيه النبي ﷺ منهج القرآن الكريم في الجمع بين التوحيد والاستغفار، والاعتراف بالذنب والاستغفار منه، وهذا من أعظم الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب التي سار عليها الأنبياء الكرام عليهم السلام في سؤالهم المغفرة من الله ﷻ، فاستجاب لهم وغفر لهم، كما أخبر الله -ﷻ- عن ذي النون عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " (فنادى) في تلك الظلمات: {أن

(١) نتائج الأفكار، السفاريني (٣٧٩).

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته،{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ } أي: الشدة التي وقع فيها،{ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } وهذا وعد وبشارة، لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه كما فعل بـ يونس عليه السلام "[1]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله، دقه وجله،خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه، والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته، ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فالتوحيد يُذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء قول استغفر الله)[2]، وكما قص الله تعالى قصة أبينا آدم -عليه السلام- حينما أكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، ثم اعترف بذنبه وتقصيره، وتاب ورجع إلى مولاه عز وجل فتاب عليه وغفر له، قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: " (فتلقى) أي التقف وتلقن وألهمه الله (من ربه كلمات) هي: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

(١) تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (٥ / ١٠٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١ / ٦٩٦ – ٦٩٧)

﴿ وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الاعرف: ٢٣]، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته (فتاب) الله (عليه) ورحمه (إنه هو التواب).. "[١].

٣-أن هذه الأسباب كلها تدور حول تحقيق التوحيد الذي هو السبب الأعظم لمغفرة الذنوب وللنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فمن جاء مع التوحيد بقُراب الأرض -وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها -خطايا، لقيه الله بقرابها مغفرة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ[٢]، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبةً وتعظيمًا وإجلالًا ومهابةً، وخشيةً ورجاءً وتوكلًا[٣]، فكلمة التوحيد هي الباب الرئيس لدخول الجنة، فبدونها لا يمكن لبشر مهما كانت منزلته في الدنيا أن يدخل الجنة إلا بتحقيقها في نفسه ظاهرًا وباطنًا، وذلك بما وقر في جنانه وما نطق به لسانه أن لا خالق ولا معبود إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فمن كان هذا حاله فهو من المخلدين في الجنة لا محالة، كما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، قال: يا معاذ بن جبل قال: لبيك يارسول الله وسعديك، قال: يا معاذ قال: لبيك يارسول الله وسعديك ثلاثاً، قال: (ما

---

(١) تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (١ / ٥٦ – ٥٧).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (٣٥٤٠)، وصححه الألباني برقم: (٣٥٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧ / ٤٨٨)، جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٢ / ٤٠٢ – ٤١٨)

من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار) قال يارسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال: (إذاً يتكلوا) وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا)[1]، فهذه شهادة صريحة من النبي ﷺ أن من مات مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمان به دخل الجنة[2]؛ لأن الله سبحانه يتجاوز عن العبد مالم يشرك به، فإن أشرك به فهو من الخاسرين المخلدين في نار جهنم والعياذ بالله.

٥-سيتم في المطالب التالية بيان هذه الأسباب العقدية من الحديث الشريف وأثرها في مغفرة الذنوب، من خلال تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة، وقبل البدء في هذه المطالب نبين أهمية التوحيد وتعريفه لغةً وشرعًا ومعنى تحقيقه وأنواعه.

أهمية التوحيد:

التوحيد هو ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين[3]، وهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم: ٣٠]، ومن حققه دخل الجنة بغير حساب.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية ألا يفهموا،حديث رقم: (١٢٨)، (١/ ٢٢٨)

(٢) انظر:فتح الباري، ابن حجر (١ / ٢٢٨).

(٣) إغاثة اللهفان، ابن القيم (٢ / ١٣٥).

تعريف التوحيد لغةً وشرعًا:

التوحيد في اللغة: هو تفعيل وحَّد يقال: (وحد واحده كما يقال ثناه وثلثة)[١]، وحده توحيدًا أي جعله واحدًا[٢]، والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له[٣].

أما التوحيد شرعًا فهو: إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات[٤]، فلا معبود بحق سواه، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، ولا شريك له في الخلق والأمر، قال سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾[الأعراف: ٥٤]، و لا مثيل له ولا نظير، بل له ﷻ الكمال المطلق المنزه عن جميع النقائص قال عز من قائل: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

المراد بتحقيقه:

وتحقيق التوحيد يكون بإخلاص العمل لله تعالى وتخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والذنوب والمعاصي وتكميله بفعل السنن وترك المكروهات[٥].

---

(١) الصحاح، الجوهري (٢ / ٥٤٨).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٢ / ٥٤٧)، لسان العرب، ابن منظور، مادة: وحده، (١٥ / ٢٣٠).

(٣) فتح المجيد، عبد الرحمن بن عبدالوهاب (٥٧).

(٤) شفاء العليل، ابن القيم (٣٦٦)، القول المفيد، ابن عثيمين (١ / ١١).

(٥) فتح المجيد، عبد الرحمن بن عبدالوهاب (٥٧).

وهذا التوحيد -الذي من حققه دخل الجنة بغير حساب -ثلاثة أقسام كما دلت على ذلك نصوص الكتاب الكريم وصحيح السنة المطهرة، قال الإمام العكبري رحمه الله: (أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه؛ إذ قد علمنا أن كثيرًا ممن يقر به ويوحده بالقول قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحًا في توحيده، ولأننا نجد أن الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها)[1]، وقد دل هذا الحديث الشريف على أن تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة سبب لمغفرة الذنوب ويتضح ذلك من خلال المطالب التالية:

(١) الإبانة، العكبري (٣ / ١٢)، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، البدر (٢٩ -٣٠).

المطلب الأول: تحقيق توحيد الربوبية وأثره في مغفرة الذنوب:

المسألة الأولى: تعريف توحيد الربوبية:

الربوبية: هي الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه ومدبره، والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌ من الذل، ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦][1]، وقد عرفه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فقال: فأما توحيد الربوبية: فهو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف: ٥٤][2].

المسألة الثانية: المراد بتحقيقه:

وتحقيق توحيد الربوبية يكون: بإفراد الله ﷻ بأفعاله، بالاعتقاد الجازم بأن خالق هذا العالم وربَّه واحدٌ أحدٌ له الملك والتصرف المطلق في هذه الكون، المحيي المميت، النافع الضار، القابض الباسط، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولا يمتنع عنه ما يريد سبحانه هو الفعال لما يريد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا،

(١) القول السديد، السعدي (١٠).

(٢) تقريب التدمرية، ابن عثيمين (١١٠).

ولم يكن له شريك في الملك ولا يكون أبدًا[1]، مع تخليصه مما يضاده ومن ذلك: إنكار وجود الله تعالى جملة وتفصيلا، أو إثبات وجود خالق غير الله تعالى أو معه، أو تعطيل الرب ﷻ عن أسمائه وصفاته الدالة على ربوبيته.

المسألة الثالثة: أثر تحقيق توحيد الربوبية في مغفرة الذنوب:

١- هذا الحديث كله في الثناء على الله، والإقرار بربوبيته، والاعتراف بأنه الخالق المنعم سبحانه، وهي من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، و يتمثل ذلك بقوله: (اللهم أنت ر بي)، وهذا يدل نصًا على ربوبيته -سبحانه -، وفي قوله: (خلقتني)، والخلق من مقتضيات الربوبية، وفي قوله: (أبوء لك بنعمتك علي)، أعترف بنعمتك العظيمة علي ولا أنسبها لغيرك سبحانك، فمن أجل الربوبية لله ﷻ يبدأ العبد بالمناجاة لله بقوله: (اللهم أنت ربي خلقتني وأنا عبدك... أبوء لك بنعمتك علي...)، وذلك أن أساس الاعتراف بالربوبية، هو إفراد الله ﷻ بأفعاله كالخلق والملك والتدبير، فلا رب سواه ولا متصرف في الكون ولا مدبر لشؤونه غيره، فلا يلتفت المؤمن إلى غيره ولا يتعلق بسواه، والسر في ذلك أن من كمل اعتقاده بأن كل ما يرجوه من خير الدنيا والآخرة هو بيد الله وحده، وكل ما يخافه من شر الدنيا والآخرة فلا يقع إلا بأمر الله وحده، فإنه عندئذ يكمل تعلق قلبه بربه، ويتوكل عليه، ولا يقصد إلا إياه بالسؤال والاستعانة وسائر العبادات، وإذا كانت البداية بذكر التوحيد قبل

---

(١) تيسير العزيز، سليمان بن عبدالوهاب (٣٣)، أضواء البيان، الشنقيطي (٣ / ٣٧٣ – ٣٧٤)،

تجريد التوحيد، للمقريزي (١٠ – ١٦).

طلب المغفرة، وإذا اعترف العبد بذنبه وطلب المغفرة من ربه وأقر له أنه لا يغفر غيرُه (فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، كان جديرًا أن يُغفر له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٢-أن معنى قوله ﷺ: (خلقتني): هو إذعان واعتراف بتوحيد الربوبية، لأن الله -جل ثناؤه -هو خالق العالم وحده لا شريك له ولا وزير له -سبحانه[١] -، وهو سؤال لله ﷻ بهذه الصفة المبارك، والتوسل إلى الله بصفاته من أجل أسباب المغفرة.

٣-أن إفراد الله ﷻ بأفعاله العظيمة الحكيمة ونسبة النعم إليه، هو عين توحيد ربوبيته سبحانه، قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦]، وربوبية الله على خلقه على نوعين ربوبية عامة لجميع الناس، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، وهي خلقه للمخلوقين، ورزقهم وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا، وربوبية خاصة وهي: تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء -عليهم السلام -بلفظ الرب، ومن ثم كانت سببًا في إجابة دعواتهم ومغفرة زلاتهم، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة[٢].

---

(١) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، السفاريني (٢١٣ – ٢٣٩ – ٢٦٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (١ / ٢٨٨).

المسألة الرابعة: الاعتراف بالنعم والذنب والتقصير وأثره في مغفرة الذنوب:

النعمة في اللغة: الخفض والدعة والمال، وهي بهذا المعنى لازمة، والنعمة أيضًا، اليد والصنيعة والمنة، وهي بهذا المعنى متعدية[1]، والمقصود بها هنا: المنة والفضل.

النعمة شرعًا: النعمة اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [النحل: ١٨]، أي نعمه[2]، وقد وردت في القرآن الكريم النعمة مضافة إلى الله ﷻ في عدة آيات منها: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [البقرة: ٢١١]، يعني: يغير نعمة الله: كتاب الله، وقيل: عهد الله، وقيل: من ينكر الدلالة على نبوة محمد ﷺ من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب[3]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]، وأتممت عليكم نعمتي، يعني: أنجزت وعدي في قوله: ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٠]، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجوا مطمئنين لم

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (١٢ / ٥٧٩)، مختار الصحاح، الرازي (٣١٤).

(٢) تفسير القرطبي (١ / ٣٣١).

(٣) تفسير البغوي (١ / ٢٦٩).

يخالطهم أحد من المشركين[1]، ومن خلال الآيات القرآنية التي تقدمت يتبين أن معنى النعمة يشمل أمرين:

أحدهما: أن المراد آياته ودلائله، وهي من أجَلِّ أقسام نعم الله؛ لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة، والنعمة هنا الإسلام.

والقول الثاني: المراد بنعمة الله ما آتاهم الله من أسباب الصحة والأمن والكفاية[2].

والعبد المؤمن يتقلب بين مشاهدة النعمة ومطالعة عيب النفس وتقصيرها، فيشكر النعم ويستغفر من الذنب والتقصير وذلك أن الله -ﷻ- أنعم على الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصى، فهو-سبحانه -خلق الإنسان من عدم، وأغدق عليه النعم، لذلك لا بد من الإقرار والاعتراف، بأنه -ﷻ- -هو الرازق المنعم، يقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: (الأصل أن تعلم أن النعم كلها من الله وحده، نعم الطاعات ونعم الذات، فترغب إليه أن يلهمك ذكرها ويُوزِعَك شكرها، قال تعالى: ﴿ **فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ** ﴾ [الاعراف: ٦٩]، والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عدم منها

(١) المصدر السابق (٢ / ١٣).

(٢) تفسير الرازي (٦ / ٣٦).

واحدة، اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر فكلامه إليها يرجع وعليها يدور)[1].

الذنب لغة: الذّال والنون والباء أصول ثلاثة: أحدها الجرم، والآخر مؤخر الشيء، والثالث كالحظ والنصيب، لكن ما يعنينا هو المعنى الأول من المعاني الثلاث، الذنب هو الجرم[2]، والذنب: يعني ارتكاب أمر غير مشروع[3].

الذنب اصطلاحًا: الذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل[4]، قال الراغب الأصفهاني-رحمه الله -: (والذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء، ويستعمل في كل فعل يستوخم عقباه اعتبارًا بذنب الشيء، ولهذا يُسمى الذنب تبعة، وعقوبة اعتبارًا لما يحصل من عاقبته)[5]، ومن حكمة الله ﷻ، أن ذنوب البشر لا تتساوي، فمنها الصغائر، ومنه الكبائر، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ ﴾ [النجم: ٣٢]، وهذا لكمال عدله وحكمته، لأنها لو كانت كل الذنوب كبيرة، لعذّب كل الخلق، ولو كانت كل الذنوب صغيرة لاستهان الناس بما يقترفونه من معاصي وذنوب، و الإنسان ليس معصومًا عن الزلل و الخطأ، لكن يجب عليه أن يُتبع هذا الزلل والخطأ باستغفار وتوبة، لأن الله تواب رحيم، غفور يغفر

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (٢ / ٢٣٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٢ / ٣٦١).

(٣) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين (٣١٦).

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي (٤ / ١٦).

(٥) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (١ / ٣٣١).

الذنوب صغيرها وكبيرها إن رجع العبد وأناب إليه، ولم يعد للذنب مرة أخرى -وإن كان هذا الذنب عظيما -فالقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تدل على ذلك، فعلى العبد أن يستغفر من الذنب، ولا يستهين به، بل ينظر إلى عظمة خالقه ﷻ.

أثر الاعتراف بالنعم والذنب والتقصير في مغفرة الذنوب:

لا شك أن الاعتراف بالذنب والتقصير والتوبة منه والرجوع إلى الله -ﷻ -سببٌ عظيم لمغفرة الذنوب، كما قص الله – تعالى- قصة أبينا آدم -عليه السلام -حينما أكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، ثم اعترف بذنبه وتقصيره، وتاب ورجع إلى مولاه ﷻ فتاب عليه قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: " (فتلقى) أي التقف وتلقن وألهمه الله (من ربه كلمات) هي ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الاعرف: ٢٣]، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته (فتاب) الله (عليه) ورحمه (إنه هو التواب) لمن تاب إليه وأناب، وتوبة الله نوعان: توفيقه أولًا لها، ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانيًا، (الرحيم) بعباده ومن رحمته أن وفقهم للتوبة وعفا عنهم وصفح)[1]، وجاء في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ: (أبوء لك بنعمتك علي): فهذا اعتراف منه بجميع نعم الله، نعمة الإيمان، نعمة العافية، نعمة الولد، نعمة الزرع، نعمة

(١) تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (١ / ٥٦ – ٥٧).

البيت، وما بالعبد من نعمة فهي من الله -ﷻ-: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣]، والاعتراف بذلك موجب ومقتض لشكر الله ﷻ على النعم، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [ابراهيم: ٧]، فإذا اعترف العبد بأن النعمة من الله وحده لا شريك له فيها، عليه أن يشكره عليها بقلبه وقالبه، بقلبه ولسانه وعمله، فيعترف أنها من الله، ويحمد الله ﷻ عليها، ويصرف النعمة في طاعة الله، لا يصرفها في معصية الله، هذا مقتضى الاعتراف والإقرار بأن الله ﷻ أسدى إليه النعمة، وتفضل عليه بها.

كما أن معنى (أبوء) في اللغة: باء بالشيء وإليه بوءا وبواء: أي رجع، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦]، معنى باء في الآية: أي رجع[(١)]، ويقال باء به وإليه وبما عليه احتمله واعترف به، وفي التنزيل العزيز: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ﴾ [المائدة: ٢٩][(٢)]، ومعنى تبوء في الآية: ترجع يقال: باء إذا رجع إلى المباءة وهي المنزل[(٣)]، إذن البوء يعني: الرجوع، والاعتراف، فيصبح

(١) تيسير الكريم المنان، السعدي (٣ / ٦١٠).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (١ / ٣٦)، المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين (١ / ٧٥).

(٣) تيسير الكريم المنان، السعدي (٢ / ٤١٤).

المعنى اصطلاحاً: أي أعترف وأقر يا رب بنعمتك عليّ، وأعترف بتقصيري في حقك ووقوع الذنوب مني، ويؤيد ذلك في رواية لشداد بن أوس رضي الله عنه: (وأعترف بذنوبي)[1]، وأصله البواء ومعناه اللزوم، ومنه بوأه الله منزلًا؛ إذ أسكنه فكأنه ألزمه به، قوله: وأبوء لك بذنبي أي أعترف أيضًا، وقيل معناه أحمله برغمي لا أستطيع صرفه عني، وقال الطيبي رحمه الله: (أعترف أولا بأنه أنعم عليه ولم يقيده لأنه يشمل أنواع الأنعام ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها، ثم بالغ فعدّه ذنبًا مبالغةً في التقصير وهضم النفس)[2]، وقال ابن حجر -رحمه الله-: (ويحتمل أن يكون قوله أبوء لك بذنبي: أعترف بوقوع الذنب مطلقًا، ليصح الاستغفار منه لا أنه عدّ ما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنبًا)[3]، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: (فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، فتضمنت هذه العبارة طلب العبد من ربه غفران ذنبه، واعترافه بأنه لا يغفر الذنوب إلا هو ﷻ، فمن جمع بين هذين الأمرين غُفرت ذنوبه: الاعتراف بالذنب والتوبة إلى الله منه.

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب إذا أصبح وإذا أمسى، حديث رقم: (٣٣٩٣).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (١١ / ١٠٠).

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة.

المطلب الثاني: تحقيق توحيد الألوهية، وأثره في مغفرة الذنوب:

المسألة الأولى: معنى توحيد الألوهية:

ما تقرب متقرب لله ﷻ بأفضل من أن يوحده، ويبرأ من الشرك به، وهذا الحديث العظيم فيه التوكيد على الاعتراف بتوحيد الألوهية لله سبحانه، في قوله: (اللهم): فهي نص في الألوهية بذكره لفظ الجلالة، ثم ثنى بذكر (لا إله إلا أنت)، ثم ذكر العبودية بقوله: (وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك)، ثم ذكر استعاذة العبد بربه (أعوذ بك من شر ما صنعت) ورجوعه إليه (أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي)، وطلبه المغفرة منه (فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

فتوحيد الألوهية هو توحيد الله بأفعال العباد، أو هو: إفراد الله ﷻ بالعبادة، وهذا التوحيد هو الذي خلق الله ﷻ الخلق من أجله، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إلا ليوحدون)[1]، وهذا النوع من التوحيد هو معنى: لا إله إلا الله، إذ معناها لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وهو توحيد العبادة الذي يعني إخلاص العبادة لله ﷻ وحده لا شريك له، والعبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد، إذا كان مذللا بكثرة الوطء[2]، والعبادة في الشرع: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (٧٧)، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، الخلف (١ / ٨٢-٨٣).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٣ / ٢٧٣).

والظاهرة[1]، ويشترط لقبول العبادة شرطان: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولا بد في عبادته من أصلين: أحدهما إخلاص الدين لله، والثاني: موافقة أمر الله الذي بعث به رسله)[2].

المسألة الثانية: المراد بتحقيق توحيد الألوهية:

وتحقيق توحيد الألوهية يكون: بإفراد الله تعالى بالعبادة اعتقادًا، وقولًا، وعملًا، وإخلاص التأله لله تعالى بالمحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة وسائر أنواع العبادة، وألا يكون في القلب شيء من التعلق بسواه، أو الالتفات لسواه، فيكون القلب متوجهًا بكليته إلى الله ﷻ والبراءة من كل معبود سوى الله تعالى[3].

المسألة الثالثة: أثر تحقيق توحيد الألوهية في مغفرة الذنوب:

يظهر كون تحقيق توحيد الألوهية من الأسباب العقدية الجليلة لمغفرة الذنوب من خلال النقاط التالية:

١-البدء به في الدعاء: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت)، إذ إن توحيد الألوهية والعبادة هو أهم أنواع التوحيد فهو الغاية من خلق الثقلين قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهو المقصود الأعظم من إرسال الرسل، وأنزل الكتب وهو دعوة كل رسول إلى قومه، ومفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ

(١) العبودية، ابن تيمية (٤٤).

(٢) التدمرية، ابن تيمية (٢٣٣).

(٣) تيسير العزيز الحميد، آل الشيخ (٣٦)، مدارج السالكين، ابن القيم (١ / ٢٥).

﴿ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦]، ومن أجل هذا التوحيد أنزلت الكتب، وافترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وإلى سعداء وأشقياء، وعليه مدار الحساب، وبه تطيش كفة الميزان يوم يبعث الله تعالى العباد في يوم الميعاد، فيغفر لأصحابه وينالون المراتب العالية، فقوله ﷺ (اللهم): تعني أدعو الله، فالدعاء عبادة لا تصرف إلا لله وحده، فهذا من لوازم توحيد الألوهية، فقد ابتدأ حديث الاستغفار بإظهار التذلل للخالق ﷻ، وكذلك طلب المغفرة بأسلوب مكلل بأدب عند الطلب من الخالق ﷻ، فكلمة (اللهم) لا تستخدم إلا عند الطلب، فهو طلب مصحوب بأدب، حري بأن يستجاب له، فالأدب مع المخلوقين وسيلة الطالبين لتلبية طلباتهم، فكيف برب المخلوقين ؟! فمن باب أولى أن يستجاب للمتأدبين مع خالقهم، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠]، وكذلك تحمل كلمة (اللهم) معنى الخضوع، والاستكانة لله ﷻ، وتلك عبادات قلبية لا تنبغي إلا لله وحده، فكل قائم بشيء من هذه العبادات فهو داع لله تعالى[1]، وكذلك تضمنت هذه الكلمة التي تصدر بها الدعاء: (اللهم): أصلين من أهم أصول تحقيق توحيد الألوهية وهما: الحب والخضوع ذلك أن معنى الإله المعبود، ولكي تقع العبودية على الوجه الأكمل للمعبود لا بد أن تجمع أصلين: غاية الحب، بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: (طريق معبد) أي: مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين (١ / ٢١٦).

تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محباً خاضعاً، فالمألوه حقيقة المعبود حبًا وتعظيمًا[1]، فـ (الإله) هو الذي يألهه العباد حبًّا وذلًّا، وخوفًا ورجاء، وتعظيمًا وطاعة له[2]، وهو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق، والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين[3].

٣-في قوله ﷺ (وأنا عبدك): سبب عظيم من أسباب فتح باب الدخول على الملك والتقرب إليه قبل عرض المسألة وهو: إظهار الداعي تمام الانكسار بين يدي ملك الملوك، وتقديم منتهى الاعتراف بالعبودية، وتمام التذلل والخضوع للإله المعبود.

٤-في قوله: (لا إله إلا أنت): توسل إلى الله ﷻ بالإقرار الجازم بتوحيد الألوهية، وأنه لا معبود بحق إلا أنت يا الله، وكل ما يُعبد سواك باطل، وهذا من أعظم أسباب مغفرة الذنوب كما أخبر الله ﷻ عن نبيه يونس عليه السلام، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧ -٨٨].

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (١ / ٧٤).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (٣ / ٢٧)، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية (٣٧٣-٣٩٨).

(٣) تفسير ابن جريج (١ / ١٢٢ – ١٢٥)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤ / ١١٤ – ١٢٥).

قال ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-: (لا إله إلا الله: ألّا يأله القلب غير الله حبًا ورجاءً وخوفًا وتوكلًا واستعانة وخضوعًا وإنابة وطلبًا، ولا يصلح ذلك كله إلا لله -عز وجل- فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور -التي هي من خصائص الألوهية -كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله، ونقصًا في توحيده)(١).

٥-وفي قوله ﷺ: (أعوذ بك من شر ما صنعت)، أي: أعوذ بك يا الله وأستجير بك من كل شر في صنيعي وكل معصية وقعت مني، سواء كانت قولًا أو فعلًا أو اعتقادًا، فسياق الاستعاذة في هذا الحديث الشريف متضمنًا لمعنى طلب المغفرة من الذنوب، واللجوء إلى الله من شرها، وما يترتب عليها من عقاب في الدنيا أو في الآخرة، والحفظ منها والتجاوز عنها، وهذا مما يجعل الاستعاذة من شر السيئات والمعاصي سببًا عقدَيًّا كريمًا لمغفرة الذنوب، والاستعاذة عمومًا متضمنةً للالتجاء والتحصن بالله سبحانه، مما يدل على ضعف واستكانة العبد مقابل قوة خالقه، ومدى حاجته له، وطلبه من ربه الوقاية والحفظ والسلامة من السيئات، فهو يخبرنا -سبحانه - أن الإنسان الفائز هو من وُقِيَ من شر أعماله حيث قال: ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٩]: (أي من تحفظه بمقتضى لطفك وتوفيقك عن المعاصي في النشأة الأولى، فقد رحمته البتة في النشأة الأخرى، وذلك بوقايتك وحفظك إياه عن أسباب

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، ابن رجب (٢١).

الخذلان و الحرمان وذلك هو الفوز العظيم والكرم العميم واللطف الجسيم)[1]، ولقد كان النبي -ﷺ -يستعيذ من شرور الأعمال وسيئات الأنفس في خطبته بقوله: (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ -: (فاستعاذته بالله -ﷻ -الالتجاء إليه والتحصن به والهروب إليه من المستعاذ منه، كما يتحصن الهارب من العدو بالحصن الذي ينجيه منه)[3]، فالاستعاذة في الحديث تشمل اللجوء إلى الله، والتحصن به من شر المعاصي وما يترتب عليها من عقابٍ دنيويًا أو أخرويًا، وكذلك التحصن بالله من الوقوع فيها، فهي سبب كل بلاء وشقاء في الدنيا والآخرة.

المسألة الرابعة: تحقيق الافتقار إلى الله ﷻ، وأثره في مغفرة الذنوب:

معنى الافتقار إلى الله ﷻ:

الافتقار لغةً: مأخوذ من (فَقَرَ)، فالفاء والقاف والراء، أصل صحيح، والفقير: المكسور فقار الظهر ومنه اشتق اسم الفقير فكأنه مكسور الظهر من ذلته ومسكنته[4].

ومعنى الإفتقار الى الله شرعًا: (أن يجرد العبد قلبه ونفسه من كل حظوظها وأهوائها، ويقبل بكليته على ربه ﷻ، متذللاً بين يديه، مستسلمًا لأمره

(١) الفواتيح الإلهية والمفاتح الغيبية، نعمة الله النخجواني (٢ / ٢٥٧).

(٢) سنن النسائي، حديث رقم: (١٤٠٤)، وصححه الألباني، برقم: (١٤٠٣).

(٣) قاعدة جامعة، ابن تيمية (١٩٩).

(٤) معجم مقايس اللغة، ابن فارس (٤ / ٤٤٣).

ونهيه، متعلقًا قلبُه بمحبته وطاعته، وهو من أخص خصائص العبودية بل هو لبها)[1]، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[فاطر: ١٥]، وقال-تعالى -في دعاء كليم الله موسى -عليه السلام -: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤]، وعرفه الإمام ابن القيم -رحمه الله - بتعريف آخر فقال: (حقيقة الفقر: ألّا تكون لنفسك، ولا يكون لها منك شيء، بحيث تكون كلك لله، وإذا كنت فثَمّ مُلك واستغناء مناف للفقر) ثم قال: (الفقر الحقيقي: دوام الافتقار إلى الله في كل حال، وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه)[2].

ويتحقق الافتقار إلى الله ﷻ بأمرين متلازمين:

الأول: إدراك عظمة الخالق وجبروته:

فكلما كان العبد أعلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه كان أعظم افتقارًا إليه وتذللًا بين يديه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله -: (أعلم

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (٢ / ٤٣٩).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (٢ / ٤٤٠)

الناس بالله أخوفهم منه)[1]، وقال أيضًا: (رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله)[2].

الثاني: إدراك ضعف المخلوق وعجزه:

فمن عرف قدر نفسه، وأنه مهما بلغ في الجاه والسلطان والمال فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صرفًا ولا عدلًا، تصاغرت نفسه، وذهب كبرياؤه، وذلت جوارحه، وعظم افتقاره لمولاه، والتجاؤه إليه، وتضرعه بين يديه، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ٥ – ١٠]، وقد جمع الإمام ابن القيم –رحمه الله– بين هذين الأمرين بقوله: (من كملت عظمة الحق تعالى في قلبه، عظمت عنده مخالفته؛ لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونه، وعرف قدر نفسه وحقيقتها، وفقرها الذاتي إلى مولاها الحق في كل لحظة ونَفَس)[3].

أثر تحقيق الافتقار إلى الله ﷻ في مغفرة الذنوب:

يظهر تحقيق الذل و الافتقار الى الله تعالى، وكونه من الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب في هذا الحديث من خلال الآتي:

١- أن ذل القلب وافتقاره بين يدي الله تعالى من أجل العبادات القلبية بها يستكمل العبد مقام العبودية حيث يستشعر فيها العبد ضعفه وافتقاره لله

(١) أعلام النبلاء، الذهبي (٨ / ٤٢٧).

(٢) المرجع السابق (٨ / ٤٢٦).

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم (١ / ١٤٤ – ١٤٥).

تعالى، مما يرفعه أعلى المقامات عند الله تعالى[١]، يقول ابن القيم رحمه الله: (إن مقام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلًا لله وانقيادًا وطاعة، فهو ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل، فهو ذليل لقهره، ذليل لربوبيته وتصرفه فيه، وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه)[٢].

٣-جاءت هذه الألفاظ في الحديث: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك) صادحةً بما في قلب الداعي من الحب والرضا والذل لله تعالى، مع غاية الافتقار و إظهار العجز والفاقة و التواضع لله تعالى، لا في قلبه فحسب بل وفي جوارحه، وهي عبادات لا يجب صرفها إلا لله -تعالى-، يقول ابن رجب -رحمه الله -: (أعلم أن سؤال الله — تعالى- دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل، والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع، ودفع المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده؛ لأنه حقيقة العبادة)[٣].

٤-أن هذا الحديث اشتمل على جميع صور افتقار العبد قولًا وحالًا، قلبًا ونفسًا وجسدًا؛ مما جعله من الأدعية الكاملة المستجابة، فقد اجتمع في هذا الحديث أنواع الدعاء الثلاثة[٤]

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥ / ١٨٨)، العبودية، ابن تيمية (١ / ٣٤).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١ / ٢٨٩).

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١ / ٤٨١).

(٤) التفسير القيم، ابن القيم (١ / ٢١٤-٢١٥).

أحدها: أن تسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته، (اللهم أنت ربي لاإله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك).

والثاني: أن تسأله بحاجتك وفقرك، كأن تقول: (أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي).

الثالث: أن تسأل حاجتك ولا تذكر أحدًا من الأمرين، (فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل، وأحرى بالإجابة كما في هذا الحديث الشريف.

٥-أن في انكسار القلب تحقيق لعبودية القلب التي هي أصل لعبودية الجوارح، كما قال النبي ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[١]، يقول ابن القيم -رحمه الله-: (وأعمال القلوب هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وأن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية)[٢].

٦- أن توسل الداعي وسؤاله الله -تعالى- بأنه: (خلقه وأنه عبده) هذا اعتراف بحقيقة قدر العبد بين يدي مولاه وسيده، ومن ههنا خُذل من

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: (٥٢).

(٢) بدائع الفوائد، ابن القيم (٣ / ٧٠٥).

خُذل، ووُفق من وُفق، فحجب المخذول عن حقيقته ونسى نفسه، فنسي فقره وحاجته وضرورته إلى ربه، فطغى وعتا؛ فحقت عليه الشقوة[١].

٧-أن تحقيق التوحيد وقيام معانيه في قلب العبد، وتعرف النفس بما لله تعالى من صفات كماله وجلاله وكماله، يفتح للعبد باب القيام بحق عبوديته، ومقت النفس، و مقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله -تعالى -في لحظة واحدة، أضعاف ما يدنو بالعمل[٢]، ويظهر هذا بشكل واضح عند تدبر ألفاظ الحديث أثناء الدعاء به، واستحضار معانيه، والعيش معها قلباً وقالبا.

المسألة الخامسة: اليقين وأثره في مغفرة الذنوب:

معنى اليقين بالله ﷻ.

اليقين لغة: جاء في مقاييس اللغة: (يقن: الياء والقاف والنون، اليقن واليقين، زوال الشك يقال يقنت واستيقنت، وأيقنت)[٣]، وقال ابن منظور: (يقن: اليقين، العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر، وقد أيقن يوقن إيقانًا، فهو موقن، ويقن ييقن يقنًا، فهو يقن، واليقين، نقيض الشك)[٤].

واليقين اصطلاحًا: العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل[٥].

---

(١) طريق الهجرتين، ابن القيم (٢٥-٢٦).

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم (١٠٤).

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس (٧ / ١٥٧).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (١٥ / ٣٢١).

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي (٤١).

وهو أعلى درجات الإدراك قال ابن تيمية -رحمه الله-: (ينبغي أن يعلم كل واحد من صفات الحي، التي هي العلم والقدرة والإدارك ونحوها، أن له من المراتب ما بين أوله وآخره ما لا يستنبطه العباد، كالشك ثم الظن ثم العلم ثم اليقين ومراتبه)[1]، واليقين هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وهو روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح فالإيمان قلب المسلم ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه[2]، فاليقين حقيقة الصدِّيقية، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون[3].

تحقيق اليقين وأثره في مغفرة الذنوب:

لقد اشتمل حديث البحث أموراً ظهر منها تحقيق اليقين مما جعل هذا الدعاء من الأدعية المستجابة، وأن اليقين من أهم الأسباب العقدية لمغفرة الذنوب، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال:

١-أنه دعاء بأكمل دعاءين يدعو بهما الداعي؛ إذ هو دعاء بأسماء الله وصفاته -جلت أسماؤه وتقدست صفاته -وهو أيضاً دعاء الله بحاجة العبد وفقره وذلته مع حضور القلب، وبهذين الدعاءين ينطق يقين الإيمان بمعاني أسماء الله تعالى وصفاته، ويقين ضعف العبد وفاقته، وهو الخطوة الأولى على طريق الدعاء المستجاب.

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٦ / ٣٢٩).

(٢) الفوائد، ابن القيم (١٦).

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم (٢ / ٤١٣).

٢-أن اليقين بإجابة الدعاء من إحسان الظن بالله تعالى على أن حُسن الظن يجب أن يصاحبه حُسن العمل، لذا تصدر هذا الدعاء المستجاب بقوله: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي)، وهو التوسل إلى الله تعالى بأعظم عمل صالح يتوسل به العبد إلى الله سبحانه، وهو تحقق التوحيد بأنواعه الثلاثة بدءًا بأهم أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية بإخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل، مع عدم تعلق القلب بشيء بسواه، أو الالتفات لغيره، بقلب متوجهًا بكليته إلى الله ﷻ، متبرئًا من حوله وقوته معترفًا بعجزه وفقره وحاجته، مثنيًا بقوله: (فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، وهذا هو تحقيق توحيد الأسماء والصفات بالدعاء بأعظم أسماء الله الحسنى، ثم التوسل بالاعتراف أن الله وحده مالك أمره والمتصرف فيه، المنفرد بتدبير أمره وأمر الخلق والعالم كله فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، فإن رَزَق عبدًا له فلا مانع لرزقه، وإن قضى له أو عليه بحكم فلا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه وبه تحقيق توحيد الربوبية.

٣-أنه دعاء في طيّاته الحث على حسن الظن بالله تعالى باليقين: أن من قال هذا الدعاء موقنًا به غفر له في ليله أو نهاره الذي قاله فيه، حيث ختمه النبي ﷺ بهذا الوعد الكريم: (ومن قالها من النهار موقنًا فمات من يومه قبل أن يمسى، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة).

٤-أنه كلما ازداد اليقين في نفس العبد قوي توكله، وقد كان لسان الداعي وحاله في هذا الدعاء ينطق بقوة التوكل على الله تعالى.

٥-ما فاحت به رائحة ألفاظ هذا الحديث الدالة على التسليم والرضا لحكم الرب القوي الحكيم العادل ولقضائه وقدره، ولا تثبت قدم الرضا إلا على درجة اليقين[١].

٦-أن معنى قوله ﷺ: (ومن قالها من النهار موقنًا فمات من يومه قبل أن يمسى، فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)، موقنًا بها: يعني من قال هذه الكلمات مخلصًا من قلبه ومصدقًا بثوابه فهو من أهل الجنة[٢]؛ لكونها من كلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وقوله ﷺ: (فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة)؛ (لأنه افتتح نهاره بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاعتراف بالعبودية، ومشاهدة المنة من إسداء النعم، ومطالعة عيب النفس والعمل من مقارفة المعاصي واللمم، وطلب المغفرة من الغفار، وهو قائم على قدم الذل والانكسار، وواقف على عتبة المسكنة والافتقار، وضارع بأكف الابتهال والاحتقار، يطلب الإقالة والرجوع، ويطلب العفو والصفح)[٣]، وحاصل هذا: أن من قال الدعاء المذكور من أول نهاره، فمات في ذلك اليوم، كان من أهل

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١ / ١٥٠).

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٠ / ٧٧).

(٣) نتائج الأفكار، السفاريني (٣٧٩).

الجنة، ومن قاله من أول ليلة، فمات في تلك الليلة، كان من أهل الجنة، والمراد أن يقوله صباحًا ومساءً، طرفي النهار[1] موقنًا به من قلبه.

(١) المصدر السابق (٣٧٩).

المطلب الثالث: تحقيق توحيد الأسماء والصفات، وأثره في مغفرة الذنوب.

السبب العقدي الثالث الذي تضمنه هذا الدعاء وجعله من الأدعية المستجابة بوعد النبي ﷺ، لمن قاله موقنًا به صباحًا أو مساءً بالجنة، تحقيق توحيد الأسماء والصفات[1]، ويظهر تحقيق توحيد الأسماء والصفات في الحديث من خلال الجوانب التالية:

١-أنه دعاء صدر بتوحيد الله في أسمائه وصفاته: بدعاء ملك الملوك وندائه بأعظم أسماء الله الحسنى وهو (الله) فقال: (اللهم)، فالداعي حين يبتدئ دعاءه باللهم في هذا الحديث إنما يدعو باسم الجلالة (الله)، وهو اسم الله الأعظم على أحد الأقوال؛ لأنه دال على جميع الأسماء الحسني والصفات

---

(١) ويكون تحقيق توحيد الأسماء والصفات بأن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ نفيًا وإثباتًا، وقد قام منهج السلف ﷺ في باب الأسماء والصفات على أسس وقواعد تتمثل في الآتي:

١-أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا تثبت إلا بالكتاب الكريم وصحيح السنة المطهرة.

٢-أسماء الله تعالى حسنى، وصفاته كاملة عليا.

٣-أن الله تعالى موصوف بالإثبات والنفي.

٥-حمل النصوص على ظاهرها مع اعتقاد عدم التمثيل والتكييف.

٦-نصوص الأسماء والصفات من باب المحكم معنى والمتشابه كيفاً.

٧-عدم الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته، وذلك يتمثل فيما يأتي:

أ -ترك التمثيل والتعطيل.

ب -سلامة منهجهم من التأويل الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه.

٨- العمل بالحديث ما دام صحيحاً من غير تفريق بين متواتر وآحاد... انظر: التدمرية، ابن تيمية (٣٩، وما بعدها)

القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى، ابن عثيمين (٥-١١).

العليا بالدلالات الثلاثة: (المطابقة والتضمن والالتزام) فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص؛ ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ويقال: الرحمن والرحيم والقدوس والسلام، والحكيم، من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك[١]، فعُلم أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله) بالإقرار بالربوبية لله تعالى بعد إقراره له بالألوهية، واسم (الله) دال على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبةً وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله[٢]، وقد ذهب مجموعة من العلماء إلى أن الميم في اللهم دالة على جميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وفي هذا يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- في شأن إلحاق الميم في كلمته (اللهم) بعد أن بين أن الميم حرف شفهي يجمع

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (١ / ٤١).

(٢) التفسير، ابن القيم (١ / ٣٥ -٣٦).

الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علمًا على الجمع[١]: (فهم قد ألحقوها في آخر هذا الاسم (اللهم) الذي يسأل العبد به ربه سبحانه في كل حاجة، وكل حال، إيذانًا بجمع أسمائه تعالى وصفاته، فإذا قال السائل: اللهم إني أسالك، كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلي بأسمائه وصفاته، فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذانًا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، وهذا القول الذي اخترناه قد جاء عن غير واحد من السلف، قال الحسن البصري: "(اللهم) مجمع الدعاء "[٢]، وقال أبو رجاء العطاردي:" إن الميم في قوله (اللهم) فيها تسعة وتسعون اسماً من أسماء الله تعالى "[٣]، وقال النضر بن شميل: " من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه[٤] "[٥].

٢-دلالة الحديث على اسم الله الرب: ومعنى الرب ذو الربوبية على خلقه أجمعين خلقًا وملكًا وتدبيرًا، وهو من الأسماء الدالة على جملة معان لا على معنى واحد، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره أُضيف، فيقال: رب كذا[٦]، وإذا أُفرد تناول في دلالاته سائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا[٧]، وقد كان أكثر دعاء الأنبياء عليهم السلام بهذا الاسم.

---

(١) المرجع السابق (١ / ٢١٢).

(٢) جامع الأحكام، القرطبي (٤ / ٥٤) وفيه (... تجمع الدعاء).

(٣) البحر المحيط، ابو حيان (٢ / ٤٣٦).

(٤) جامع الأحكام، القرطبي (٤ / ٥٤)، البحر المحيط، ابو حيان (٢ / ٤٣٦).

(٥) التفسير، ابن القيم (١٣ – ٢١٥)، جلاء الأفهام، ابن القيم (١٥٦).

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (١ / ١٧٩).

(٧) ينظر: فقه الأسماء الحسنى، البدر (٩٧ – ٩٨).

٣-دلالة الحديث على صفات الله ﷻ: فحديث سيد الاستغفار دل على صفات الله ﷻ، بدلالة الالتزام، حيث يفهم ذلك من خلال سياق الحديث، وفي مثل ذلك يقول الشيخ محمد السفاريني -رحمه الله-: (لقد دل حديث سيد الاستغفار علي ثبوت الصفات بطريق الالتزام، لأن الإله المعبود سبحانه لا يكون إلا كاملًا حيًا قادرًا، والمتعطل عن الصفات الكمالية في غاية النقص؛ إذ هو بالجماد أليق -تعالى الله وتنزه عن كل عيب -)[١]، ومن ذلك دلالته على صفة العلم والحياة لله ﷻ: فالحديث يدل على صفتي العلم والحياة، فهو من بدايته إلى نهايته عبارة عن مخاطبة العبد ربَه، وسؤاله المغفرة لذنوبه، فيلزم من هذا الخطاب إثبات صفة الحياة والعلم للخالق -ﷻ -، فما دام العبد يؤمن بأنه -ﷻ - عليم بسرائره، مطلع على أحواله فهذا أدعى لأن يشعر بالوجل من خالقه، فيسأله اللطف بحاله ومغفرة ذنوبه.

٤-أن التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته من أعظم أسباب الإجابة، لما جاء في قوله ﷺ: (ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش)[٢]، قال الإمام النووي -رحمه الله -: (ولا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى، حقيقة هذا مصلحة العباد، لأنهم يثنون عليه ﷻ فيثيبهم فينتفعون، وهو سبحانه غني عن العالمين، لا ينفعه مدحهم، ولا يضره تركهم ذلك، وفيه تنبيه على فضل الثناء

---

(١) نتائج الأفكار، السفاريني (٢١٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، حديث رقم:(٢٧٦٠).

عليه ﷻ، وتسبيحه وتحميده وتكبيره، وسائر الأذكار)[1]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما سؤال الله بأسمائه وصفاته التي تقتضي ما يفعله بالعباد من الهدى والرزق والنصر، فهذا أعظم ما يُسأل الله تعالى به)[2]، وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله -: (وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته، ففتح لهم باب الدعاء رغبًا ورهبًا ليذكره الداعي بأسمائه وصفاته، فيتوسل إليه بها؛ ولهذا كان أفضل الدعاء وأجوبه ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته)[3].

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، حديث رقم:(٢٣١٠)

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١ / ١٥٩).

(٣) الصواعق المرسلة، ابن القيم (٣ / ٩١١).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، أشكر الله ﷻ على تيسيره وتوفيقه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد توصلت من خلاله إلى النتائج التالية:

١-أهمية التمسك في الدعاء بالألفاظ الشرعية؛ لكمالها في ألفاظها ومعانيها وجلال مقاصدها ومدلولاتها.

٢-أنّ في الهدي النبوي الشريف نصوصًا كثيرة تدل على سعة رحمة الله -تعالى- وكمال فضله ومغفرته.

٣-يظهر لي من خلال هذا البحث اشتمال حديث سيد الاستغفار على أسباب عقدية عظيمة لمغفرة الذنوب وهي: تحقيق التوحيد، اللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة به، والاعتراف بالنعم مع التقصير في شكرها والإقرار بالذنب مع التوبة منه، والافتقارإليه -سبحانه -، واليقين بواسع فضله ومغفرته.

٤-أن تحقيق التوحيد وقيام معانيه في قلب العبد، وتعرف النفس بما لله-تعالى -من صفات كماله وجلاله وكماله، يفتح للعبد باب القيام بحق عبوديته، ومقت النفس في ذات الله ﷻ.

٥-أن الافتقار إلى الله -ﷻ -من أخص خصائص العبودية بل هو لبّها، وذلك لما فيه من الإقبال على ﷻ والتذلل بين يديه.

٦-أن اليقين هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وهو روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح.

المراجع:

١- الإبانة عن شريعة الفرق الناجية – العكبري – تحقيق: رضا مصطفى وآخرون – دار الراية – الرياض – ١٤١٥هـ

٢- إحياء علوم الدين – الغزالي – دار المعرفة – بيروت – بدون طبعة

٣- الأربعين في أصول الدين – الرازي – تحقيق: د.أحمد حجازي – دار الثقافة – القاهرة – ط (١) – ١٤٠٦هـ.

٤- إرشاد الساري لشرح البخاري – القسطلاني – المطبعة الكبرى الأميرية – مصر – ط (٧)-١٣٢٣هـ

٥- الإرشاد في قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد – الجويني – تحقيق: أسعد تميم – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ط (١) – ١٤٠٥هـ.

٦- أعلام السنة – الحكمي – تحقيق: حازم القاضي – وزارة الشؤون الإسلامية – السعودية – ط (٢) – ١٤٢٢هـ

٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – ابن القيم الجوزية – تحقيق: محمد حامد الفقي – مكتبة المعارف – الرياض

٨- بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية – تحقيق: علي محمد عمران – عالم الفوائد – مكة المكرمة

٩- التحفة العراقية في أعمال القلوب – ابن تيمية – دار الهدى – الرياض – ط (١) – ١٤٠٧هـ

١٠- التدمرية – ابن تيمية – تحقيق: د.محمد بن عودة السعوي – مكتبة العبيكان – الرياض – ط (٦) – ١٤٢١هـ

١١- التذكرة في الوعظ – ابن الجوزي – تحقيق: أحمد فتيح – دار المعرفة – بيروت – ط (١) – ١٤٠٦هـ

١٢- التعريفات – الجورجاني – تحقيق: د.عبدالرحمن عميرة – عالم الكتب – بيروت – ط (١) – ١٤٠٧هـ

١٣- تفسير البغوي " معالم التنزيل " – البغوي – تحقيق: محمد عبدالله النمر واخرون – دار طيبة – الرياض – ط (٤) – ١٤١٧هـ
١٤- تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – تحقيق: سامي سلامة – دار طيبة – الرياض – ط (٢)-١٤٢٠هـ
١٥- تفسير القرآن الكريم – ابن القيم الجوزية – تحقيق: مكتب الدرسات والبحوث الإسلامية والعربية – ط (١) – ١٤١٠هـ
١٦- تقريب التدمرية – ابن عثيمين – دار ابن الجوزي – الدمام – ط (١) – ١٤١٩هـ
١٧- التمهيد – الباقلاني – تحقيق: عماد الدين حيدر – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ط (١) – ١٤٠٧هـ.
١٨- تهذيب اللغة – الأزهري – تحقيق: محمد عوض – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط (١)-٢٠٠١م
١٩- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب – تحقيق: زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط (١) – ١٤٢٣هـ
٢٠- تيسير الكريم المنان – السعدي – المؤسسة العبيدية – الرياض
٢١- ثلاثة أصول – محمد بن عبدالوهاب – تحقيق: ناصر الطريم – مطابع جامعة الإمام بدون رقم وطبعة وسنة نشر
٢٢- الجامع الصحيح – البخاري – بيت الافكار الدولية – الرياض – ١٤١٩هـ
٢٣- جامع العلوم والحكم – ابن رجب الحنبلي – تحقيق: شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط (٧) – ١٤٢٢هـ
٢٤- الجامع لأحكام القران – القرطبي – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب العصرية – القاهرة – ط (٢) – ١٣٨٤هـ
٢٥- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام – ابن القيم الجوزية – تحقيق: زائد احمد – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة

٢٦- الجواب الكافي " الداء والدواء " – ابن القيم الجوزية – تحقيق: محمد الإصلاحي – عالم الفوائد – مكة المكرمة – ط (١) – ١٤٢٩هـ
٢٧- روضة الناضر وجنة المناظر – ابن قدامة المقدسي – تحقيق: د.عبدالكريم النملة – مكتبة الرشد – الرياض – ط (٤) -١٣٩٥هـ
٢٨- سنن الترمذي – أبي عيسى محمد الترمذي – تحقيق: فؤاد عبدالباقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٨هـ
٢٩- سير أعلام النبلاء – الذهبي – تحقيق: مجموعة من المحققين – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط (٣) – ١٤٠٥هـ
٣٠- شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – تخريج: الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط (٩)
٣١- شرح الكوكب المنير – القنوجي – تحقيق: محمد الزحيلي – مكتبة العبيكان – ط (٢) – ١٤١٨هـ
٣٢- شرح المقاصد – التفتازاني – تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة – عالم الكتب – بيروت – ط (١) – ١٤٠٩هـ.
٣٣- شرح حديث سيد الاستغفار – د.عبدالرزاق البدر – دار الفضيلة – الجزائر – ط (١) – ١٤٣١هـ.
٣٤- شرح رياض الصالحين – ابن عثيمين – دار الوطن – الرياض – ط (١) – ١٤٢٦هـ
٣٥- شرح صحيح البخاري – ابن بطال – تحقيق: ياسر بن إبراهيم – مكتبة الرشد – الرياض – ط (٢) – ١٤٢٣هـ
٣٦- الصحاح " تاج اللغة " وصحاح العربية – الجوهري – تحقيق: أحمد عطا – دار العلم للملايين – بيروت – ط (٤) – ١٤٠٧هـ
٣٧- صحيح مسلم – الإمام مسلم – بيت الافكار الدولية – ١٤١٩هـ
٣٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين – ابن القيم الجوزية – تحقيق: محيي الدين الخطيب – المكتبة السلفية – ط (٣)

٣٩- العبودية – ابن تيمية – تحقيق: محمد زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط (٧) – ١٤٢٧هـ
٤٠- العدة في أصول الفقه – القاضي أبي يعلى الفراء – تحقيق: د.أحمد المباركي – الرياض – ط (٢) – ١٤١٠هـ
٤١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري – العيني – دار إحياء التراث العربي – بيروت
٤٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – تعليق: ابن باز – دار المعرفة – بيروت – ١٣٧٩هـ
٤٣- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد – عبدالرحمن حسن عبدالوهاب – تحقيق: محمد الفقي – مكتبة الصفا – ط (١) – ١٤٢٣هـ
٤٤- الفواتح الإلهية – النحجواني – دار كابي للنشر – مصر – ١٤١٩هـ
٤٥- الفوائد – ابن القيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (٢) – ١٣٩٣هـ
٤٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير – المناوي – دار المعرفة – بيروت
٤٧- القاموس المحيط – الفيروزآبادي – إشراف: محمد نعيم – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط (٦) – ١٤١٥هـ
٤٨- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد – عبدالرزاق البدر – مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة – ط (١) – ١٤١٤هـ
٤٩- القول المفيد على كتاب التوحيد – ابن عثيمين – دار ابن الجوزي – الدمام – ط (٢) – ١٤٢٤هـ
٥٠- كشف مشكل حديث الصحيحين – ابن الجوزي – تحقيق: علي حسين البواب – دار الوطن – الرياض
٥١- لسان العرب – ابن منظور – دار صادر – بيروت – ط (٣) – ١٤١٤هـ

٥٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية – السفاريني – تعليق: عبدالرحمن أبابطين – المكتب الإسلامي – بيروت – ط (٢) – ١٤٠٥هـ.
٥٣- مجموع الفتاوى – ابن تيمية – جمع وترتيب: عبدالرحمن محمد قاسم – مطبعة المساحة العسكرية – القاهرة – ١٤٠٤هـ
٥٤- مختار الصحاح – الرازي – تحقيق: محمود خاطر – مكتبة لبنان – بيروت – ١٤١٥هـ
٥٥- مدارج السالكين – ابن القيم الجوزية – تحقيق: محمد البغدادي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط (٢) – ١٤١٤هـ
٥٦- مرقاة المفاتيح شرح المصابيح – ملا علي القارئ – دار الفكر – بيروت – ط (١) – ١٤٢٠هـ
٥٧- مستدرك الحاكم على الصحيحين – الحاكم – تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١) – ١٤١١هـ
٥٨- معارج القبول – أحمد الحكمي – المطبعة السلفية – القاهرة.
٥٩- المعجم الوسيط – منشورات مجمع اللغة العربية – اعتنى به: إبراهيم مصطفى – دار المعارف – مصر – ط (٢) – ١٣٩٢هـ
٦٠- مفتاح دار السعادة – ابن القيم الجوزية – اعتنى به: علي الحلبي – دار ابن عفان – الخبر – ط (١) – ١٤١٦هـ
٦١- المفردات في غريب القران – الراغب الأصفهاني – دار المعرفة – بيروت
٦٢- مقاييس اللغة – ابن فارس – تحقيق: عبدالسلام هارون – دار الفكر – ١٣٩٩هـ
٦٣- الملل والنحل – الشهرستاني – تحقيق: علي فاعور – دار المعرفة – بيروت – ط (١) – ١٤١٠هـ.
٦٤- الموافقات – الشاطبي – تحقيق: مشهور آل سلمان – دار ابن عفان – الخبر – ط (١) – ١٤١٧هـ.

٦٥- المواقف في علم الكلام – الإيجي – عالم الكتب – بيروت.
٦٦- نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار – محمد السفاريني – تحقيق: عبدالعزيز الدخيل – دار الصميعي – الرياض – ط (١) – ١٤١٦هـ
٦٧- النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير – تحقيق: صلاح عويضة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١) – ١٤١٨هـ
٦٨- الواسطة بين الحق والخلق – ابن تيمية – تحقيق: محمد زينو – مطابع جامعة الإمام – ط (١).

Bibliography

Al-Ibāna ‘An Sharī’a al-Firqa al-Nājiya – Al-‘Akbarī – Taḥqīq: Riḍā Muṣṭafā wa Ākharūn – Dār al-Rāyah – Riyadh – 1415 AH.

Iḥyā’ ‘Ulūm al-Dīn – Al-Ghazālī – Dār al-Ma‘rifa – Beirut – no edition.

Al-Arba‘īn fī Uṣūl al-Dīn – Al-Rāzī – Taḥqīq: Dr. Aḥmad Ḥijāzī – Dār al-Thaqāfa – Cairo – 1st ed. – 1406 AH.

Irshād al-Sārī li Sharḥ al-Bukhārī – Al-Qasṭallānī – Al-Maṭba‘a al-Kubrā al-Amīriyya – Egypt – 7th ed. – 1323 AH.

Al-Irshād fī Qawāṭi‘ al-Adilla fī Uṣūl al-I‘tiqād – Al-Juwaynī – Taḥqīq: As‘ad Tamīm – Mu’assasat al-Kutub al-Thaqāfiyya – Beirut – 1st ed. – 1405 AH.

A‘lām al-Sunna – Al-Ḥakamī – Taḥqīq: Ḥāzim al-Qāḍī – Ministry of Islamic Affairs – Saudi Arabia – 2nd ed. – 1422 AH.

Ighāthat al-Lahfān min Maṣāyid al-Shayṭān – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Taḥqīq: Muḥammad Ḥāmid al-Fiqī – Maktabat al-Ma‘ārif – Riyadh.

Badā’i‘ al-Fawā’id – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Taḥqīq: ‘Alī Muḥammad ‘Imrān – ‘Ālam al-Fawā’id – Mecca.

Al-Tuḥfa al-‘Irāqiyya fī A‘māl al-Qulūb – Ibn Taymiyya – Dār al-Hudā – Riyadh – 1st ed. – 1407 AH.

Al-Tadmuriyya – Ibn Taymiyya – Taḥqīq: Dr. Muḥammad bin ‘Ūda al-Sa‘wī – Maktabat al-‘Ubaykān – Riyadh – 6th ed. – 1421 AH.

Al-Tadhkira fī al-Wa‘ẓ – Ibn al-Jawzī – Taḥqīq: Aḥmad Futiḥ – Dār al-Ma‘rifa – Beirut – 1st ed. – 1406 AH.

Al-Ta‘rīfāt – Al-Jurjānī – Taḥqīq: Dr. ‘Abd al-Raḥmān ‘Amīra – ‘Ālam al-Kutub – Beirut – 1st ed. – 1407 AH.

Tafsīr al-Baghawī “Ma‘ālim al-Tanzīl” – Al-Baghawī – Taḥqīq: Muḥammad ‘Abdullāh al-Nimr wa Ākharūn – Dār Ṭība – Riyadh – 4th ed. – 1417 AH.

Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm – Ibn Kathīr – Taḥqīq: Sāmī Salāma – Dār Ṭība – Riyadh – 2nd ed. – 1420 AH.

Tafsīr al-Qur’ān al-Karīm – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Taḥqīq: Maktab al-Dirāsāt wa al-Buḥūth al-Islāmiyya wa al-‘Arabiyya – 1st ed. – 1410 AH.

Taqrīb al-Tadmuriyya – Ibn ‘Uthaymīn – Dār Ibn al-Jawzī – Dammam – 1st ed. – 1419 AH

Al-Tamhīd – Al-Bāqillānī – Taḥqīq: ‘Imād al-Dīn Ḥaydar – Mu’assasat al-Kutub al-Thaqāfiyya – Beirut – 1st ed. – 1407 AH.

Tahdhīb al-Lugha – Al-Azharī – Taḥqīq: Muḥammad ‘Awaḍ – Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Beirut – 1st ed. – 2001 CE.

Taysīr al-‘Azīz al-Ḥamīd fī Sharḥ Kitāb al-Tawḥīd – Sulaymān bin ‘Abdullāh bin ‘Abd al-Wahhāb – Taḥqīq: Zuhayr al-Shāwīsh – Al-Maktab al-Islāmī – Beirut – 1st ed. – 1423 AH.
Taysīr al-Karīm al-Manān – Al-Sa‘dī – Al-Mu’assasa al-‘Ubēdiyya – Riyadh.
Thalāthat Uṣūl – Muḥammad bin ‘Abd al-Wahhāb – Taḥqīq: Nāṣir al-Ṭuraym – Maṭābi‘ Jāmi‘at al-Imām – no edition or year of publication.
Al-Jāmi‘ al-Ṣaḥīḥ – Al-Bukhārī – Bayt al-Afkār al-Duwaliyya – Riyadh – 1419 AH.
Jāmi‘ al-‘Ulūm wa al-Ḥikam – Ibn Rajab al-Ḥanbalī – Taḥqīq: Shu‘ayb al-Arna’ūṭ – Mu’assasat al-Risāla – Beirut – 7th ed. – 1422 AH.
Al-Jāmi‘ li Aḥkām al-Qur’ān – Al-Qurṭubī – Taḥqīq: Aḥmad al-Bardūnī wa Ibrāhīm Aṭfayish – Dār al-Kutub al-‘Aṣriyya – Cairo – 2nd ed. – 1384 AH.
Jalā’ al-Afhām fī Faḍl al-Ṣalāh ‘Alā Khayr al-Anām – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Taḥqīq: Zā’id Aḥmad – Dār ‘Ālam al-Fawā’id – Mecca.
Al-Jawāb al-Kāfī “Al-Dā’ wa al-Dawā’” – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Taḥqīq: Muḥammad al-Iṣlāḥī – ‘Ālam al-Fawā’id – Mecca – 1st ed. – 1429 AH.
Rawḍat al-Nāẓir wa Jannat al-Manāẓir – Ibn Qudāma al-Maqdisī – Taḥqīq: Dr. ‘Abd al-Karīm al-Namlā – Maktabat al-Rushd – Riyadh – 4th ed. – 1395 AH.
Sunan al-Tirmidhī – Abū ‘Īsā Muḥammad al-Tirmidhī – Taḥqīq: Fu’ād ‘Abd al-Bāqī – Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya – Beirut – 1408 AH.
Siyar A‘lām al-Nubalā’ – Al-Dhahabī – Taḥqīq: Majmū‘a min al-Muḥaqqiqīn – Mu’assasat al-Risāla – Beirut – 3rd ed. – 1405 AH.
Sharḥ al-‘Aqīda al-Ṭaḥāwiyya – Ibn Abī al-‘Izz al-Ḥanafī – Takhreej: Al-Albānī – Al-Maktab al-Islāmī – Beirut – 9th ed.
Sharḥ al-Kawkab al-Munīr – Al-Qanūjī – Taḥqīq: Muḥammad al-Zuḥaylī – Maktabat al-‘Ubaykān – 2nd ed. – 1418 AH.
Sharḥ al-Maqāṣid – Al-Taftāzānī – Taḥqīq: Dr. ‘Abd al-Raḥmān ‘Amīra – ‘Ālam al-Kutub – Beirut – 1st ed. – 1409 AH.
Sharḥ Ḥadīth Sayyid al-Istighfār – Dr. ‘Abd al-Razzāq al-Badr – Dār al-Faḍīla – Algeria – 1st ed. – 1431 AH.
Sharḥ Riyāḍ al-Ṣāliḥīn – Ibn ‘Uthaymīn – Dār al-Waṭan – Riyadh – 1st ed. – 1426 AH.
Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī – Ibn Baṭṭāl – Taḥqīq: Yāsir bin Ibrāhīm – Maktabat al-Rushd – Riyadh – 2nd ed. – 1423 AH.

Al-Ṣiḥāḥ "Tāj al-Lugha" wa Ṣiḥāḥ al-'Arabiyya – Al-Jawharī – Taḥqīq: Aḥmad 'Aṭṭā – Dār al-'Ilm lil-Malāyīn – Beirut – 4th ed. – 1407 AH.
Ṣaḥīḥ Muslim – Al-Imām Muslim – Bayt al-Afkār al-Duwaliyya – 1419 AH.
Ṭarīq al-Hijratayn wa Bāb al-Sa'ādatayn – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Taḥqīq: Muḥyī al-Dīn al-Khaṭīb – Al-Maktaba al-Salafiyya – 3rd ed.
Al-'Ubūdiyya – Ibn Taymiyya – Taḥqīq: Muḥammad Zuhayr al-Shāwīsh – Al-Maktab al-Islāmī – Beirut – 7th ed. – 1427 AH.
Al-'Udda fī Uṣūl al-Fiqh – Al-Qāḍī Abū Ya'lā al-Farrā' – Taḥqīq: Dr. Aḥmad al-Mubārakī – Riyadh – 2nd ed. – 1410 AH.
'Umdat al-Qārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī – Al-'Aynī – Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī – Beirut.
Fatḥ al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī – Ibn Ḥajar al-'Asqalānī – Ta'līq: Ibn Bāz – Dār al-Ma'rifa – Beirut – 1379 AH.
Fatḥ al-Majīd Sharḥ Kitāb al-Tawḥīd – 'Abd al-Raḥmān Ḥasan 'Abd al-Wahhāb – Taḥqīq: Muḥammad al-Fiqī – Maktabat al-Ṣafā – 1st ed. – 1423 AH.
Al-Fawātiḥ al-Ilāhiyya – Al-Nahjawānī – Dār Kāpī lil-Nashr – Egypt – 1419 AH.
Al-Fawā'id – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Dār al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut – 2nd ed. – 1393 AH.
Fayḍ al-Qadīr Sharḥ al-Jāmi' al-Ṣaghīr – Al-Mināwī – Dār al-Ma'rifa – Beirut.
Al-Qāmūs al-Muḥīṭ – Al-Fīrūzābādī – Supervision: Muḥammad Na'īm – Mu'assasat al-Risāla – Beirut – 6th ed. – 1415 AH.
Al-Qawl al-Sadīd fī al-Radd 'Alā Man Ankar Taqsīm al-Tawḥīd – 'Abd al-Razzāq al-Badr – Maktabat al-Ghurabā' al-Athariyya – Madinah – 1st ed. – 1414 AH.
Al-Qawl al-Mufīd 'Alā Kitāb al-Tawḥīd – Ibn 'Uthaymīn – Dār Ibn al-Jawzī – Dammam – 2nd ed. – 1424 AH.
Kashf Mushkil Ḥadīth al-Ṣaḥīḥayn – Ibn al-Jawzī – Taḥqīq: 'Alī Ḥusayn al-Bawwāb – Dār al-Waṭan – Riyadh.
Lisān al-'Arab – Ibn Manẓūr – Dār Ṣādir – Beirut – 3rd ed. – 1414 AH.
Lawāmi' al-Anwār al-Bahiyya wa Sawāṭi' al-Asrār al-Athariyya – Al-Saffārīnī – Commentary: 'Abd al-Raḥmān Abābaṭīn – Al-Maktab al-Islāmī – Beirut – 2nd ed. – 1405 AH.
Majmū' al-Fatāwā – Ibn Taymiyya – Collected and arranged by: 'Abd al-Raḥmān Muḥammad Qāsim – Maṭba'at al-Misāḥa al-'Askariyya – Cairo – 1404 AH.

Mukhtār al-Ṣiḥāḥ – Al-Rāzī – Taḥqīq: Maḥmūd Khāṭir – Maktabat Lubnān – Beirut – 1415 AH.
Madārij al-Sālikīn – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Taḥqīq: Muḥammad al-Baghdādī – Dār al-Kitāb al-'Arabī – Beirut – 2nd ed. – 1414 AH.
Mirqāt al-Mafātīḥ Sharḥ al-Maṣābīḥ – Mullā 'Alī al-Qārī – Dār al-Fikr – Beirut – 1st ed. – 1420 AH.
Mustadrak al-Ḥākim 'Alā al-Ṣaḥīḥayn – Al-Ḥākim – Taḥqīq: Muṣṭafā 'Abd al-Qādir 'Aṭā – Dār al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut – 1st ed. – 1411 AH.
Ma'ārij al-Qubūl – Aḥmad al-Ḥakamī – Al-Maṭba'a al-Salafiyya – Cairo.
Al-Mu'jam al-Wasīṭ – Published by Majma' al-Lugha al-'Arabiyya – Edited by: Ibrāhīm Muṣṭafā – Dār al-Ma'ārif – Egypt – 2nd ed. – 1392 AH.
Miftāḥ Dār al-Sa'āda – Ibn al-Qayyim al-Jawziyya – Supervised by: 'Alī al-Ḥalabī – Dār Ibn 'Afan – Al-Khobar – 1st ed. – 1416 AH.
Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān – Al-Rāghib al-Aṣfahānī – Dār al-Ma'rifa – Beirut.
Maqāyīs al-Lugha – Ibn Fāris – Taḥqīq: 'Abd al-Salām Hārūn – Dār al-Fikr – 1399 AH.
Al-Milal wa al-Niḥal – Al-Shahrastānī – Taḥqīq: 'Alī Fā'ūr – Dār al-Ma'rifa – Beirut – 1st ed. – 1410 AH.
Al-Muwāfaqāt – Al-Shāṭibī – Taḥqīq: Mashhūr Āl Salmān – Dār Ibn 'Afan – Al-Khobar – 1st ed. – 1417 AH.
Al-Mawāqif fī 'Ilm al-Kalām – Al-Ījī – 'Ālam al-Kutub – Beirut.
Natā'ij al-Afkār fī Sharḥ Ḥadīth Sayyid al-Istighfār – Muḥammad al-Saffārīnī – Taḥqīq: 'Abd al-'Azīz al-Dakhīl – Dār al-Ṣumay'ī – Riyadh – 1st ed. – 1416 AH.
Al-Nihāya fī Gharīb al-Ḥadīth wa al-Athar – Ibn al-Athīr – Taḥqīq: Ṣalāḥ 'Uwayḍa – Dār al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut – 1st ed. – 1418 AH.
Al-Wāsiṭa bayn al-Ḥaqq wa al-Khalq – Ibn Taymiyya – Taḥqīq: Muḥammad Zīnū – Maṭābi' Jāmi'at al-Imām – 1st ed.